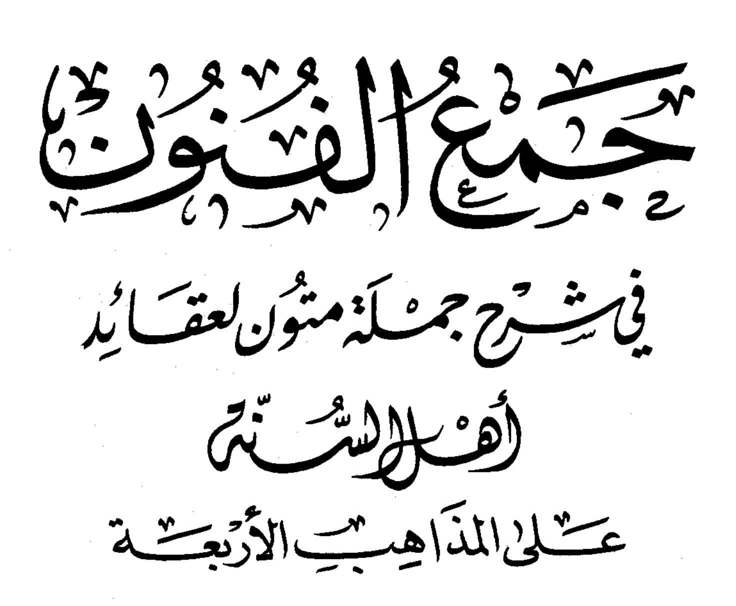


بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الجزء الثالث



الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م

الناشر

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

جمع الفنون

في شرح جملة متون العقائد

أهل السنة

على المذاهب الأربعة



قامت بطباعته وإخراجه

دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : الكويت ـ الجهراء ـ مجمع كاظمة التجاري

ص .ب :١٥١٣ الرمز البريدي :01017 الجهراء

فرع حولي : شارع الحسن البصري ، ق ٣٧ قسيمة ١٠ ، محل رقم ٣

تلفاكس :٢٦٤١٧٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

ثم أما بعد :

فهذا هو الكتاب الثالث من سلسلة : «عقائدة أئمة السلف» ، وذلك بعد ذكر عقيدة أبي حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى ، وفيه بيان لعقيدة الإمام الشافعي رحمه الله ، في مسائل التوحيد والإيمان والقدر والقرآن والصحابة ،

وذم الكلام والبدع ، ومعه بيان ما حذر منه هو وأتباعه - رحمهم الله تعالى - من وسائل الشرك وأنواعه ، وقد أتبعت كل مبحث بذكر خلاصة فيها مجمل ما في المبحث ، ومعها أسئلة للمناقشة ؛ لتتم بها الفائدة ، وعسى أن ينفع الله به ، وأن يجعل له القبول إنه جواد كريم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بقلم

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

الباب الثالث :

العقيدة على مذهب

الإِمام الشافعي وفيه فصلان

الفصل الأول :

عقيدة الإِمام الشافعي

مع شرح ميسر لها

الفصل الثاني :

شرح كتاب الإِيمان للمليباري الشافعي

الفصل الأول :

عقيدة الإِمام

أبي عبد الله محمد بن إِدريس الشافعي

(١٥٠ - ٢٠٤هـ)

الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخُمَيِّس

المبحث الأول

عقيدته في التوحيد

تكلم الشافعي رحمه الله تعالى، كما تكلم غيره من الأئمة في إثبات توحيد الله تعالى بأنواعه، وكذلك في توحيد الأسماء والصفات علَى ما ثبت به النصوص الصحيحة الثابتة، وكذلك في إثبات العلو والكلام والاستواء وغيرها من الصفات الإلهية، كما في النصوص الآتية، فمنها ما:

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: «قال الشافعي: من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: والكعبة وأبي وكذا وكذا ما كان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله لعمري .. لا كفارة عليه ويمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قِبل قول الرسول ﷺ: «إن الله عزّ وجلَّ نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فلَيحلفْ بالله أو ليسكتَ»[١] ...»[٢].

وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة[٣].

هذا ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس في هذا الزمان يقع في الحلف بغير الله تعالى، مع ورود النهي الشديد عنه، ومع أن جميع الأئمة قد حذروا من ذلك، ونهوا عنه إثباتًا للنصوص الواردة في ذلك، والتي تحذر من الحلف بغير الله.

(٢) وأورد ابن القيم في اجتماع الجيوش عن الشافعي أنه قال: «القول في

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (١١/ ٥٣٠)، ومسلم كتاب الإيمان باب النهي عن الحلف بغير الله (٣/ ١٢٦٦) ح (١٦٤٦).

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي ص ١٩٣، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٢، ١١٣)، والبيهقي في السُّنن الكبرى (١٠/ ٢٨)، وفي الأسماء والصفات ص ٢٥٥، ٢٥٦، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ١٨٨)، وانظر العلو ص ١٢١، ومختصره ص ٧٧.

السنة التي أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يَقْرُبَ مَنْ خلقه كيف شاء ، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»(١) .

ويستفاد من تلك العبارة للشافعي أن كلمة «السنة» كانت تطلق عند السلف كثيراً ، ويراد منها مسائل العقيدة ، التي هي مسائل أصول الدين ، ويستفاد منها كذلك أن مصطلح «أهل الحديث» كان معروفاً كذلك عندهم ، وأنه مرادف لقولنا الآن «أهل السنة والجماعة» ، ولهذا فينبغي على الناس الحرص على إحياء هذا الاسم ، وخصوصا طلبة العلم والباحثين ونحوهم .

(٣) وأورد الذهبي عن المزني قال : «قلت» إن كان أحد يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي ؛ فصرت إليه وهو في مسجد مصر ، فلما جثوتُ بين يديه قلت : هجس في ضميري مسألة في التوحيد فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك فما الذي عندك؟ فغضب ، ثم قال : أتدري أين أنت؟ قلت : نعم . قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون ، أَبَلَغَك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت : لا ، قال : هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت : لا ، قال تدري كم نجمًا في السماء؟ قلت : لا ، قال : فكوكب منها تعرف جنسه ، طلوعه ، أفوله ، ممَ خُلق؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أصب في شيء منه ، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات ، تدع علمه ، وتتكلف علم الخالق إذا هجس في ضميرك ذلك ؛ فارجع إلى قول الله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٥ ، إثبات صفة العلو ص١٢٤ ، وانظر مجموع الفتاوى (٤/ ١٨١ ، ١٨٣) ، والعلو للذهبي ص ١٢٠ ، ومختصره للألباني ص ١٧٦ .

[البقرة : ١٦٣ ، ١٦٤] . فاستدّل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك»(١) .

في هذه القصة فوائد مستنبطة ، منها :

١ ـ أن كلمة التوحيد كانت معروفة ومستعملة عند السلف ، وقد تقدم في الأثر السابق أن كلمة السنة كانت معروفة كذلك .

٢ - أن الشافعي رحمه الله أرشد صاحبه المزني بالاستدلال بالمخلوق على الخالق ، وهذه طريقة الشرع ، كما قال عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

٣ - عدم التكلف والتعمق والبحث في الأمور التي لا يبلغها العقل ، وهذه نصيحة عظيمة من الإمام الشافعي ، لو أن المتكلمين قد عملوا بها ، ولم يتكلفوا علم الغيبات التي لَم تبلغها عقولهم لكان خيراً لهم ، ولما حصل منهم ذلك الضلال والاضطراب والحيرة والشك .

٤ - على الإنسان طالب العلم أن يشتغل بما يفيده ويترتب عليه العمل ، ولا ينشغل بالبحثَ عما لا طائل وراءه ولا فائدة ترجى منه .

(٤) وأخرج ابن عبد البر عن يونس بن عبد الأعلى(٢) قال : «سمعت الشافعي يقول : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى ، أو الشيء غير الشيء ، فاشهد عَليه بالزندقة»(٣) .

ومما هو معلوم أن الكلام في هذه الأمور ، والقول بأن الاسم لله هو غير المسمى ، كل ذلك من محدثات أهل البدع ، وأهل التعطيل ، وقد أنكر ذلك عليهم الشافعي ورماهم بالزندقة كما ترى .

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١) .

(٢) هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصدفي المصري قال عنه ابن حجر : «ثقة من صغار العاشرة مات سنة ٢٦٤ هـ» ، تقريب التهذيب (٢/ ٣٨٥) ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب (٢/ ١٤٩) ، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٢٨ .

(٣) الانتقاء ص ٧٩ ، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٨٧) .

(٥) وقال الشافعي في كتابه الرسالة : «والحمد لله . . الذي هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصفه به خلقه»[١] .

(٦) وأورد الذهبي في السير عن الشافعي أنه قال : «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ، ووردت بها السُّنَّة ، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه قال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١][٢] .

والشافعي رحمه الله بذلك يسير على خطى من سبقوه من السلف الذين كان منهجهم في توحيد الأسماء والصفات إثبات ما ورد في الكتاب والسنة منها مع تنزيه الله تعالى عن المشابهة ، كما هو مقتَضى نصوص الكتاب والسنة .

(٧) وأخرج ابن عبد البر عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين : ١٥] . أعلمنا بذلك أن ثَمَّ قومًا غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون في رؤيته»[٣] .

يرحم الله الإمام الشافعي ، فما أدق هذا الاستنباط منه بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة ، خلافًا لمن أنكرها من المعتزلة والجهمية وغيرهم ، واستنباطه هذا من أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية يوم القيامة .

(٨) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان قال : «حضرت محمد بن إدريس الشافعي جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ . قال الشافعي : فلما حُجبُوا هؤلاء

---

(١) الرسالة ص : ٧ ، ٨ .
(٢) السير (٢٠/ ٣٤١) .
(٣) الانتفاء ص ٧٩ .

في السخط كان هذا دليلاً على أنه يرونه في الرضا ، قال الربيع : قلت : يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال : نعم به أدين الله»(١) .

(٩) وأخرج ابن عبد البر عن الجارودي(٢) قال : ذكر عند الشافعي إبراهيم بن إسماعيل بن علية(٣) فقال : أنا مخالف له في كل شيء ، وفي قول لا إله إلا الله لست أقول كما يقول ، أنا أقول : لا إله إلا الله الذي كلم موسى عليه السلام تكليمًا من وراء حجاب ، وذاك يقول : لا إله إلا الله الذي خلق كلامًا أسمعه موسى من وراء حجاب»(٤) .

يرحم الله الشافعي ، فهذا الكلام منه إثبات ؛ لأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة خلافًا لمن قال بخلق القرآن من الجهمية والمعتزلة وطوائف من المنتسبين إلى الأشعري والماتريدي .

(١٠) وأخرج اللالكائي عن الربيع بن سليمان ، قال الشافعي : «من قال القرآن مخلوق فهو كافر»(٥) .

ويستفاد من كلامه رحمه الله القول بتكفير من يقول بخلق القرآن ، وهو مذهب السلف ، غير أن التكفير بالعين ينبغي أن يسبقه إقامة الحجة على القائل بهذا الكلام لكي يكون التكفير بعد البينة ولكي لا يكون لأحد عذر أو حجة .

(١١) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال : «قال رجل للشافعي أخبرني عن القرآن خالق هو؟ قال الشافعي : اللهم لا . قال : فمخلوق؟ قال

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٥٠٦) .

(٢) لعله موسى بن أبي الجارود قال عنه النووي : «أحد أصحاب الشافعي والآخذين عنه الرواة عنه» ، وقال ابن هبة الله : «كان يفتي بمكة على مذهب الشافعي ولا يُعلم تاريخ وفاته» ، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٢٠) ، وطبقات الشافعي لابن هداية الله ص ٢٩ .

(٣) هو إبراهيم بن إسماعيل بن علية قال عنه الذهبي : «جهمي هالك كان يناظر ويقول بخلق القرآن مات سنة ٢١٨ هـ» ، ميزان الاعتدال (١/ ٢٠) وأنظر ترجمته في لسان الميزان .

(٤) الانتقاء ص ٧٩ ، والقصة ذكرها الحافظ عن مناقب الشافعي للبيهقي ، واللسان (١/ ٣٥) .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٢٥٢) .

الشافعي : اللهم لا . قال : فغير مخلوق؟ قال الشافعي : اللهم نعم . قال : فما الدليل على أنه غير مخلوق؟ فرفع الشافعي رأسه وقال : تُقر بأن القرآن كلام الله؟ قال : نعم . قال الشافعي : سبقت في هذه الكلمة قال الله تعالى ذكره : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة : ٦] . ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤] .قال الشافعي : فتقر بأن الله كان وكان كلامه؟ او كان الله ولم يكن كلامه؟ فقال الرجل : بل كان الله وكان كلامه . قال : فتبسم الشافعي ، وقال : يا كوفيون إنكم لتأتوني بعظيم من القول إذا كنتم تقرون بأن الله كان قبل القبل وكان كلامه فمن أين لكم الكلام؟ إن الكلام الله ، أو سوى الله ، أو غير الله ، أو دون الله؟ قال : فسكت الرجل وخرج»(١) .

يتضح من كلام الشافعي رحمه الله تعالى استدلاله بالقرآن على أن هذا القرآن كلام الله تعالى ، وهو أصرح دليل على ذلك ، إضافة إلى غيره ، وكذلك يذهب رحمه الله إلى أن كلام الله تعالى صفة أزلية قديمة ، كذلك ينتقد رحمه الله تخبط أهل البدع في كلامهم ، وإتيانهم بالمنكر من العقائد والأقوال .

(١٢) وفي جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي من رواية أبي طالب العشاري(٢) - ما نصه قال : وقد سُئل عن صفات الله عز وجل وما ينبغي أن يؤمن به ، فقال : «لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبَّر بها نبيه ﷺ أمته لا

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٠٧، ٤٠٨) .

(٢) هو محمد بن علي العاري شيخ صدوق معروف ، وقد تفرد برواية هذا الجزء وهو مما أدخل عليه فحدث به بسلامة باطن قاله الذهبي في الميزان (٣/ ٦٥٦) ، لكن اعتمد غير واحد من السلف ما هو مثبت في هذه العقيدة كالموفق بن قدامة في كتاب صفة العلو ص ١٢٤ ، وابن أبي يعلي في الطبقات (١/ ٢٨٣) ، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص ١٦٥ ، والذهبي نفسه في السير (١٠/ ٧٩) ، ثم إن هذه الرسالة التي سأنقلها بنصها قد قرئت على الإمام الحافظ ابن نصر الدمشقي ونقلها جميعا ابن أبي يعلي في الطبقات وسأثبت الفروق بينهما .

يسع[١] أحداً من خلق الله عز وجل قامت لديه[٢] الحجة إن القرآن نزل به وصحيح عنده[٣] قول النبي ﷺ فيما روي عنه العدل خلافه[٤] ، فإن خالف ذلك بد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله[٥] عز وجل ، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية[٦] ، والفكر ونحو ذلك أخبر الله عز وجل أنه سميع ، وأن له يدين بقول عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] . وأن له يمينًا بقول عز وجل : ﴿وَالسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر ٦٧] وإن له وجهًا بقوله عز وجل : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص ٨٨] وقوله : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، وأن له قدمًا بقوله ﷺ : «حتى يضع الرب عزّ وجل فيها قدمه»[٧] ، يعني جهنم لقوله ﷺ للذي قتل في سبيل الله عز وجل أنه : «لقي الله عز وجل وهو يضحك إليه»[٨] ، وأنه يهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا بخبر رسول الله ﷺ ، بذلك وأنه ليس بأعور لقول النبي ﷺ إذ ذكر الدجال فقال : «إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور»[٩] ، وأن المؤمنين يرون

(١) في الطبقات : (لا يسمع)
(٢) في الطبقات : (عليه) .
(٣) في الطبقات : (عنه بقوله) .
(٤) في الطبقات : (سقطت كلمة خلافة) .
(٥) في الطبقات : (فهو بالله كافر) .
(٦) في الطبقات : (ولا بالرواية) .
(٧) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب : وتقول هل من مزيد (٨/ ٥٩٤) ح (٤٨٤٨) ، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٧) ح (٢٨٤٨) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك .
(٨) أخرجه البخاري كتاب الجهاد باب الكافر يقتل المسلم (٦/ ٣٩) ح (٢٨٢٦) ، ومسلم كتاب الإمارة باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة (٣/ ١٥٠٤) ح (١٨٩٠) كلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة .
(٩) أخرجه البخاري كتاب الفتن باب ذكر الدجال (١٣/ ٩١) ح (٧١٣١) ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته (٤/ ٢٢٤٨) ح (٢٩٣٣) كلاهما من طريق قتادة عن أنس بن مالك .

ربهم عز وجل يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر ، وأن له أصبعًا بقوله ﷺ : «ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»[(١)] .

وإن [(٢)] هذه المعاني التي وصف الله عز وجل بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ ، لا يدَرك[(٣)] حقه[(٤)] ذلك بالفكر والدراية[(٥)] ، ولا يكفر بجهلها أحد ، إلا بعد انتهاء الخبر إليه ، وإن[(٦)] كان الوارد بذلك خبراً ليقوم في الفهم مقام المشاهَدة في السماع «وجَبت الَديْنونة»[(٧)] على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما عاين وسمع من رسول الله ﷺ ، ولكن نثبت[(٨)] هذه الصفات وننفي[(٩)] التشبيه كما نفي ذلك عن نفسه تعالى ذكره فقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١][(١٠)] آخر الاعتقاد .

ويستفاد من هذا الاعتقاد مسائل ، منها :

١ ـ أن الشافعي يرى عدم التكفير إلا بعد قيام الحجة على الشخص وتبليغ الجاهل .

---

(١) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد في المسند (٤/ ١٨٢) ، وابن ماجة في المقدمة باب : فيما أنكرت الجهمية (١/ ٧٢) ح (١٩٩) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) ، والآجري في الشريعة ص (٣١٧) وابن منده في الرد على الجهمية ص ٨٧ ، جميعهم من حديث النواس بن سمعان قال الحاكم : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ، وأقره الذهبي في التلخيص ، وقال عنه ابن منده : «حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم» .

(٢) في الطبقات : (فإن) .

(٣) في الطبقات : (مما لايدرك) .

(٤) في الطبقات : (حقيقته) .

(٥) في الطبقات : (والروية) .

(٦) في الطبقات : (فإن كان) .

(٧) ما بين القوسين : مثبت من الطبقات .

(٨) في الطبقات : (يثبت) .

(٩) في الطبقات : (وينفي) .

(١٠) نقلت هذا الاعتقاد من نسخة مصورة من أصل خطي محفوظ في المكتبة المركزية بجامعة ليدن بهولندا .

٢ ـ أنه رحمه الله يثبت الأسماء والصفات على ما ثبتت في الكتاب والسنة دون تشبيه أو تكييف .

٣ ـ أنه رحمه الله يثبت لله تعالى صفة الوجه واليدين والضحك والقدم والإصبع وغير ذلك مما ورد به النص الصحيح .

الخلاصة :

١ ـ يثبت الشافعي رحمه الله جميع ما ثبت من الصفات الإلهية من غير تشبيه .

٢ ـ يثبت رحمه الله أن القرآن كلام الله ومن قال غير ذلك فقد كفر .

٣ ـ يثبت رحمه الله تعالى اسم السنة لمسائل أصول الدين ، كما يثبت اسم أهل الحديث لأصحاب السنة .

٤ ـ يثبت رحمه الله مسألة الرؤية بمقتضى أدلة الكتاب والسنة .

٥ ـ كان رحمه الله يرى عدم جواز تكلف علم ما لم يبلغه العقل .

المناقشة :

س ١ : ما هي عقيدة الشافعي رحمه الله في الصفات الإلهية؟

س ٢ : هل يثبت الشافعي الرؤية في الآخرة؟ وما دليله؟

س ٣ : اذكر قوله في القرآن مع ذكر أدلته .

س ٤ : هل يجوز أن يتكلف المرء علم الغيبيات التي لا يبلغها عقله؟

المبحث الثاني
عقيدته في القدر

لم يفت الشافعي رحمه الله أن يبين عقيدته في القدر الإلهي شأنه شأن غيره من أئمة السلف ، فتكلم في إثبات قدر الله تعالى بجميع مَراتبه التي وردت بها النصوص ، وذلك كفعل باقَي الأئمة ، فأثبت علم الله تعالى السابق ومشيئته وإرادته وخلقه وتكلم عن أفعال العباد كما سنرى .

(١) أخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان ، قال : «سئل الشافعي عن القدر فقال :

ما شئت كان وإن لم أشأ
وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت
ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ
وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسن(١)

(٢) أورد البيهقي في مناقب الشافعي أن الشافعي قال : إن مشيئة العباد هي إلى الله تعالى ، ولا يشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلقَ الله تعالى أفعال العباد . وإن القَدر خيره وشره من

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٢ و ٤١٣) ، شرح اعتقاد أهل السنة (٢/ ٧٠٢) .

الله عز وجل ، وإن عذاب القبر حق ، ومساءلة أهل القبور حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والجنة والنار حق ، وغير ذلك مما جاءت به السُّنن»(١) .

(٣) وأخرج اللالكائي عن المزني قال : «قال الشافعي : تدري ما القدري؟ الذي يقول : إن الله لم يخلق الشيء حتى عمل به»(٢) .

(٤) وأورد البيهقي عن الشافعي حيث قال : «القدرية الذين قال رسول الله ﷺ : «هم مجوس هذه الأمة»(٣) . الذين يقولون إن الله لا يعلم المعاصي حتى تكون»(٤) .

(٥) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي أنه كان يكره الصلاة خلف القدري(٥) .

وكل هذه النصوص السابقة من الشافعي رحمه الله تعالى تثبت أنه يقول بما قال به السلف رحمهم الله تعالى من إثبات مراتب القدر ، وإثبات المشيئة والخلق لله تعالى ، وإثبات العلم السابق ، وأن أفعال العباد كلها مخلوقة ، فهو رحمه الله على مذهب السلف في ذلك ، وكذلك بيانه رحمه الله للقدرية المقصودين في الحديث ، بأنهم الذين ينكرون العلم الإلهي السابق ، ويظهر كذلك أنه رحمه الله تعالى لم يكن يحب الصلاة خلف القدرية .

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤١٥) .
(٢) اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٧٠١) .
(٣) أخرجه أبو داوود كتاب السنة باب في القدر (٥/ ٦٦) ح (٤٦٠١) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥) ، وكلاهما من طريق أبي حازم عن ابن عمر ، قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن صح سماع أبي حازم من ابن عمر ولم يخرجاه» وأقره الذهبي .
(٤) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣) .
(٥) مناقب الشافعي (١/ ٤١٣) .

الخلاصة :

إن الشافعي رحمه الله مثل باقي علماء السلف في إثبات قدر الله تعالى بجميع مراتبه ، وإثبات العلم السابق والكتابة والمشيئة الشاملة والخلق لجميع الكائنات ، وأفعال العباد كلها مخلوقة وهو لا يرى الصلاة خلف القدرية .

المناقشة :

س ١ : ما هي مراتب القدر التي أثبتها الشافعي رحمه الله تعالى ؟

س ٢ : ما قول الشافعي في أفعال العباد؟

س ٣ : ما موقفه رحمه الله من الصلاة خلف القدري؟

المبحث الثالث
عقيدته في الإيمان

جرى الإمام الشافعي رحمه الله على ما سبقه عليه غيره من علماء السلف وأئمتهم في إثبات أن الإيمان قول وعمل ، وأنه يزيد وينقص ، وجعلوا ذلك من أصولهم التي يذكرونها ويجيبون بها أهل البدع ، فمن ذلك :

(١) ما أخرج ابن عبد البر عن الربيع قال : «سمعت الشافعي يقول : «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب ، ألا ترى قول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة : ١٤٣] . يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمّى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد»[١] .

(٢) وأخرج البيهقي عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول : الإيمان قول وعلم يزيد وينقص»[٢] .

(٣) وأخرج البيهقي عن أبي محمد الزبيري قال : «قال رجل للشافعي : أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال الشافعي : ما لا يقبل عملاً إلا به ، قال : وما ذاك؟ قال : الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة وأسناها حظًا ، قال الرجل : ألا تخبرني عن الإيمان : قول وعمل ، أو قول بلا عمل؟ قال الشافعي : الإيمان عمل لله ، والقول بعض ذلك العمل ، قال الرجل : صف لي ذلك حتى أفهمه ، قال الشافعي : إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات فمنها التام المنتهي تمامه ، والناقص البين نقصانه ، والراجح الزائد رجحانه ؛ قال الرجل : وإن الإيمان لا يتم وينقص ويزيد؟ قال الشافعي : إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم ، فقسمه فيها ، وفرقه عليها ، فليس

(١) الانتفاء ص ٨١ .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧) .

من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى :

فمنها : قلبه الذي يعقل به ، ويفقه ويفهم ، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره .

ومنها : عيناه اللتان ينظر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما ، ويداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يمشي بهما ، وفرجه الذي الباهُ من قبله ولسانه الذي ينطق به ، ورأسه الذي فيه وجهه .

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان ، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين ، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين ، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه .

فأما فرض الله على القلب من الإيمان ، فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لَا شريك لهَ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأن محمداً ﷺ عبدَه ورَسوله ، والإقرار بما جاء من عند الله نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على القلب وَهو عمله :

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل : ١٠٦] . وقال : ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد : ٢٨] . وقال : ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة : ٤١] . وقال : ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] . فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان ، وهو عمله ، وهو رأس الإيمان .

وفرض «الله» على اللسان : القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به ، فقال في ذلك : ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة : ١٣٦] . وقال : ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة : ٨٣] ، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول ، والتعبير عن

القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان .

وفرض الله على (السمع) : أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله، وأن يُغض عما نهى الله عنه، فقال في ذلك : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء : ١٤٠] ، ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز : ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ أي : فقعدت معهم :﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : ٦٨] ، وقال : ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر : ١٧، ١٨] . وقال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون : ١ ـ ٤] . وقال : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص : ٥٥] . وقال : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان : ٧٢] . فذلك ما فرض الله، جل ذكره، على السمع من التنزيه عما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان .

و«فرض على العينين» : ألا ينظر بهما إلى ما حرم الله، وأن يغضهما عما نهاه عنه، فقال تبارك وتعالى في ذلك : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] الآيتين : ألا ينظر أحدهم إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه من أن يُنظر إليه .

وقال : كل شيء من حفظ الفرج، في كتاب الله، فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر .

فذلك ما فرض الله على العينين من غض البصر، وهو عملها، وهو من الإيمان .

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر، في آية واحدة، فقال، سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال: يعنى وفرض على الفرج: أن لا يهتكه بما حرم الله عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]، وقال: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظهما عما لا يحل له، وهو عملهما.

«وفرض على اليدين»: ألا يبطش بهما إلى ما حرم الله تعالى، وأن يبطش بهما، إلى أمر الله من الصدقة وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلوات، فقال في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة ٦] إلى آخر الآية. وقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، لأن الضرب، والحرب، وصلة الرحم، والصدقة من علاجها.

«وفرض على الرجلين»: ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله، جل ذكره، فقال في ذلك: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧).

«وفرض على الوجه»: السجود لله بالليل والنهار، ومواقيت الصلاة، فقال في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، يعني بالمساجد: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته، من الجبهة وغيرها.

قال : فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح .

وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه ، وذلك حين صرف الله تعالى وجه نبيه ﷺ من الصلاة إلى بيتَ المقدس ، وأمره بالصلاة إلى الكعبة ، وكان المسلمون قد صلوا إلىَ بيت المقدس ستة عشر شهراً ، فقالوا : يا رسول الله ، أرأيت صلاتنا التي كنا نصليها إلى بيت المقدس ، ما حالها وحالنا؟

فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ١٤٣] ، فسمى الصلاة إيمنًا ، فمن لقي الله حافظًا لصلواته ، حافظًا لجوارحه ، مؤديًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليه ـ لقي عليها ـ لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة ، ومن كان لشيء منها تاركا متعمداً مما أمر الله به ـ لقي الله ناقص الإيمان . قال : وقد عرفت نقصانه وإتمامه ، فمن أين جاءت زيادته؟

قال الشافعي : قال الله ، جل ذكره : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٤ ، ١٢٥] ، وقال : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

قال الشافعي : ولو كان هذا الإيمان كله واحدا لا نقصان فيه ، ولا زيادة ـ لم يكن لأحد فيه فضل ، واستوى الناس ، وبطل التفضيل . ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة ، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عندَ الله في «الجنة» ، وبالنقصان من الإيمان دخَل المفرطون النار .

قال الشافعي : إن الله جل وعز ، سابق بين عباده كما سُوبق بين الخيل يوم الرهان . ثم إنهم علَى درجاتهم من سبق عليه ، فجعل كل امرئ على درجة

سبقه ، لا ينقصه فيها حقه ، ولا يقدم مسبوق على سابق ، ولا مفضول على فاضل . وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها . ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه للحق آخر هذه الأمة بأولها[1] .

رحم الله الشافعي على هذا الكلام النفيس ، الذي يفصل فيه القول لإثبات دخول الأعمال في مسمى الإيمان ، وكذلك إثباته لأن الإيمان قول وعمل ، واستدلاله بدلالات الكتاب والسنة ، وكذلك بإثباته لزيادة الإيمان ونقصانه ، كما هو اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى ، وكذلك تفاضل المؤمنين في الدرجات ، فهو بهذا على اعتقاد السلف رحمهم الله تعالى ، بل هو من كبار أئمة السلف وشيوخهم فرضي الله عنه وأرضاه .

الخلاصة :

١ ـ الإيمان عند الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قول وعمل ، ويزيد وينقص ، كما هو مقتضى النصوص في الباب .

٢ ـ المؤمنون يتفاضلون في الثواب والمنزلة على حسب استكمالهم لأمور الإيمان .

المناقشة :

س ١ : ما هو الإيمان عند الشافعي؟

س ٢ : هل يعد الشافعي العلم من الإيمان؟ وما دليله؟

س ٣ : ما قوله في مسألة تفاضل المؤمنين؟

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٣٨٧ـ٣٩٣) .

المبحث الرابع
عقيدته في الصحابة

إن حرص أهل العلم على إدراج مسألة الصحابة في أصولهم إنما ظهرت بعد أن أظهر أهل البدع الباطلة القول بعدم إمامة أبي بكر وعمر ، والطعن في الصحابة ، وانتقاصهم والقدْح فيهم ، فمن هنا حرص الأئمة على بيان عقيدتهم في شأن الصحابة ، ومن هؤلاء الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كما نرى ، فقد :

(١) أورد البيهقي عن الشافعي أنه قال : «أثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن والتوراة والإنجيل ، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم ، فرحمهم الله ، وهنأهم بما آتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، فهم أدوا إلينا سُنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه ، فعلموا ما أراد رسولَ الله ﷺ عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشاداً ، وعرفوا سنته ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد ، وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم ، واستنبط به وآراؤهم لنا أحمد وأوْلى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا والله أعلم»[١] .

(٢) وأخرج البيهقي عن ربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول في التفضيل : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[٢] .

(٣) وأخرج البيهقي عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[٣] قال : «سمعت

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٤٢) .

(٢) مناقب الشافعي (١/ ٤٣٢) .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن عبد الحكم المصري أبو عبدالله ، قال عنه الشيرازي : «صحب الشافعي وتفقه به وحمل في المحنة إلى بغداد إلى ابن أبي دؤاد ولم يجب إلى ما طلب منه ورد إلى مصر . . مات في سنة اثنتين وستين ومائتين» ، طبقات الفقهاء ص ٩٩ وانظر ترجمته في طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٣٠ وشذرات الذهب (٢/ ١٥٤) .

الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم»[١] .

(٤) وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال : «سألت الشافعي أأصلي خلف الرافضي؟ قال : لا تصل خلف الرافضي ، ولا القدري ، ولا المرجئ ، قلت : صفهم لنا ، قال : من قال : الإيمان قول فهو مرجئ ، ومن قال : إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي ، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قَدري»[٢] .

يرحم الله الشافعي على هذه النصوص القيمة ، والتي يظهر فيها فضل الصحابة رضي الله عنهم ، وسابقتهم في الإسلام ، ومبلغ ورعهم وعمق علمهم ، وكذلك إثبات لإمامة الشيخين الجَليلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكذلك تفَضيله لأَبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهما جميعا ، على ما هو مذهب أهل السنة ـ رحمهم الله تعالى ـ في هذا الباب ، وكذلك يبدو من النص الأخير نهيه ـ رحمه الله ـ عن الصلاة خلف الرافضة الذين ينتقصون الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فرضي الله عنه وأرضاه .

---

(١) مناقب الشافعي (١/ ٤٣٣) .
(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٥) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣١) .

الخلاصة :

١ ـ يعتبر الشافعي أن الصحابة هم أفضل الأمة وأن انتقاصهم طعن في الدين؟

٢ ـ يفضل الشافعي بين الصحابة فيفضل الأربعة الخلفاء على حسب ترتيبهم في الخلافة .

٣ ـ نهى رحمه الله عن الصلاة خلف من ينتقص الصحابة .

المناقشة :

س ١ : ما قول الشافعي في الصحابة رضي الله عنهم؟

س ٢ : من أفضل الصحابة عند الشافعي؟

س ٣ : ما هو مذهبه في الصلاة خلف من ينتقض الصحابة؟

المبحث الخامس
نهيه عن الابتداع والخصومات في الدين

إن الشافعي رحمه الله كغيره من علماء السلف الذين كرهوا علم الكلام وذموه وذموا المشتغلين به ، بل إنه رحمه الله كان يرى وجوب معاقبة المتكلمين والتشهير بهم والتحذير منهم ، كما رأى أن كتبهم لا تعد من كتاب العلم ، وأن ما اشتغلوا به ليس علمًا على الإطلاق ؛ من هنا كان يعتبر أن الكلام خطيئة ، وأنه أعظم من الكبائر ، وذلك ثابت عنه كما سيأتي .

(١) أخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال : «سمعت الشافعي يقول : . . . لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر ، وكان فيها كتب الكلام ، لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العلم»(١) .

(٢) وأخرج الهروي عن الحسن الزعفراني قال : «سمعت الشافعي يقول : ما ناظرت أحدًا في الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله من ذلك»(٢) .

(٣) وأخرج الهروي عن الربيع بن سليمان قال : «قال الشافعي : لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابًا كبيراً لفعلت ، ولكن ليس الكلام من شأني ، ولا أحب أن ينسب إليّ منه شيء»(٣) .

(٤) وأخرج ابن بطة عن أبي ثور قال : «قال لي الشافعي : ما رأيت أحدًا ارتدى شيئا من الكلام فأفلح»(٤) .

(٥) وأخرج الهروي عن يونس المصري قال : «قال لي الشافعي : لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام»(٥) .

---

(١) ذم الكلام (ق ـ ٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠) .
(٢) ذم الكلام (ق ـ ٢١٣) وأورده الذهبي في السير (١٠/ ٣٠) .
(٣) ذم الكلام (ق ـ ٢١٥) .
(٤) الإبانة الكبرى ص ٥٣٥ ، ٥٣٦ .
(٥) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص ١٨٢ .

فهذه أقوال الإمام الشافعي رحمه الله في مسائل الدين ، وهذا موقفه من علم الكلام ، وتبين منه أنه رحمه الله ، شأنه كغيره من السلف ، يكرهون علم الكلام لما يورثه من الشك في العقائد ، والحيرة والاضطراب ، ويكرهون أهله ، وينهون عن مخالطتهم ويبدعونهم ، ويرونهم وبالا على الإسلام والمسلمين ، ويرون أن عاقبة الكلام تؤول إلى الضلال والانحراف ؛ فرحمه الله ورضي عنه .

الخلاصة :

١ ـ كان الشافعي رحمه الله تعالى ينهي عن الاشتغال بعلم الكلام ، وكان يذم أهله وينهي عن كلامهم .

٢ ـ كان الشافعي حريصا على ألا ينسب إلى الكلام بأي شكل من الأشكال .

٣ ـ يرى ـ رحمه الله ـ أن كتب أهل الكلام ليست من كتب العلم في شيء .

المناقشة :

س ١ : ما هو موقف الشافعي من علم الكلام ومن المتكلمين؟

س ٢ : هل عُرِفَ الشافعي بعلم الكلام ومن المتكلمين؟

س ٢ : هل عُرِفَ الشافعي بعلم الكلام في وقت ما؟

س ٣ : هل يعتبر الشافعي الكلام علمًا؟

المبحث السادس
نهيه عن الشرك ووسائله

أولا : وسائل الشرك :

إن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ كان من أكثر الناس حرصًا على حماية جناب التوحيد ، والتحذير من وسائل الشرك ، وأشدهم نهيًا عنها ، وكذلك أتباعه ، وقد وردت عنهم في ذلك نصوص كثيرة منها :

جاء عن الإمام الشافعي : وأتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور(١) وتعليتها(٢) والبناء عليها(٣) والكتابة عليها(٤) ، وإسراجها(٥) واتخاذها مساجد(٦) .

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءٌ» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب ١/ ٤٥٦ ، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمجموع ٥/ ٢٦٦ . والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٧ ، ٣٨ ، والعقد الثمين ص ١٨٦ .

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر : روضة الطالبين (١/ ٦٥٢) والزواجر (١/ ١٩٥)

(٣) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب ١/ ٤٥٦ ، وروضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمجموع ٥ ، ٢٦٦ ، والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٠٧ .

(٤) لما أخرجه أبو داوود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي ﷺ : «نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر : الأم ١/ ٢٧٨ ، روضة الطالبين ١/ ٦٥٢ ، والمهذب ١, ٤٥١ ، والمجموع ٥/ ٢٦٦ ، والسراج الوهاج ١/ ١١٤ ، والعقد الثمين ص ١٨٦ .

(٥) لقول النبي ﷺ : «لعن الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» . ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر ١/ ١٩٤ فتح المجيد ص ١٨٦ .

(٦) قال النبي ﷺ : «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» متفق عليه وقال : «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد إني أنهاكم عن ذلك» . أخرجه مسلم وغيره ، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه ، انظر الأم ١/ ٢٧٨ ، شرح مسلم للنووي ٥/ ١١ ـ ١٤ ، والزواجر ١/ ١٩٤ .

والصلاة إليها(١) ، واستقبالها للدعاء(٢) ، والطواف بها(٣) ، والقعود عليها (٤) ، وتقبيلها ، ومسحها باليد(٥) أو يضرب عليها مظلة(٦) ، أو أن يقول : والله وحياتك(٧) أو يقول : ما شاء الله وشئت(٨) .

وقال الشافعي : «وأكره أن يبنى على القبر مسجد ، وأن يسوى أو يصلى عليه وهو غير مسوى ، أو يصلى إليه(٩) .

واستعماله رحمه الله للفظ الكراهة إنما يقصد به التحريم ، كما هو مقتضى النصوص الشرعية ، وليس المقصود بكلامه الكراهة باصطلاح الفقهاء .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى : «يكره أن يجصص القبر ، وأن يكتب عليه اسمَ صاحبه ، أو غير ذلك ، وأن يبنى عليه»(١٠) .

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ ، قال : «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها» . ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر : الأم ١/ ٤٦ ، وشرح مسلم للنووي ٧/ ٣٨ ، والزواجر ١/ ١٩٤ .

(٢) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابق لمعرفة موقف الشافعية ، واجع الموضوع ٨/ ٢٥٧ .

(٣) قال تعالى ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج : ٢٩] ، فالطائف بقبر إنما يشبه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون . ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع ٨/ ٢٥٧ ، الزواجر ١/ ١٩٤ ، وتطهير الجنان ص ٣٧ .

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال : «نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءٌ» .

(٥) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود ، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني ، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور ، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون» .
ولمعرفة موقف الشافعية ، انظر المجموع ٨/ ٢٥٧ .

(٦) تقدم ذكر الدليل في الفقرات السابقة . ولمعرفة موقف الشافعية انظر : المجموع ٥/ ٢٦٦ .

(٧) لقول النبي ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٠١ .

(٨) لقول النبي ﷺ : «أجعلتني لله ندّاً» ، لمن قال له : «ما شاء الله وشئت» انظر : تفسير ابن كثير الشافعي ١/ ١٠١ .

(٩) الأم ١/ ٢٧٨ ولعله لا يقصد بالتسوية القبر بالأرض فإنها مأمور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوي الأسطح والحواف وغير ذلك بحيث لا يكون فيه نتوءات ولا بروز . والله أعلم .

(١٠) المجموع ٥/ ٢٦٦ .

وقال أيضًا : «ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ، ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك ، ولأن في ذلك تضييقا على الناس»[١] . «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»[٢] .

وقال النووي : «ويكره تجصيص القبر ، والبناء ، والكتابة عليه ، ولو بنى في مقبرة مُسبّلة هدم»[٣] .

وقال ابن حجر المكي الهيثمي : «الكبيرة الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتسعون اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، واتخاذها أوثانًا ، والطواف بها ، واستلامها ، والصلاة إليها . ثم قال : تنبيه : عدّ هذه ستة من الكبائر ، وقع في كلام بعض الشافعية ، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه ـ يعني النبي ﷺ ـ لعن من فعل ذلك ، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة ، ففيه تحذير لنا كما في رواية : «يحذر ما صنعوا»[٤] ، أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك ، فيلعنوا كما لعنوا واتخاذ القبر مسجدا ، معناه الصلاة عليه أو إليه ، وحينئذ فقوله : والصلاة إليها مكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط ، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان القبر معظمًا من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية : «إن كان فيهم الرجل الصالح[٥] . .» ، ومن ثم قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء

---

(١) المجموع ٥/ ٢٦٦ .
(٢) المهذب ١/ ٤٥٦ .
(٣) السراج الوهاج ١/ ١١٤ .
(٤) البخاري ٧/ ٧٤٧ ح ٤٤٤٣ في المغازي باب مرض النبي ﷺ ، مسلم ١/ ٣٧٧ ، ح ٥٣١ في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبايد الله بن عبدالله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً .
(٥) مسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ح (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

. . ومثلها مثل : الصلاة عليه ، والتبرك والإعظام ، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهرة ، ظاهر من الأحاديث المذكورة ، وكأنه قَاس على ذلك كل تعظيم للقبر ، كإيقاد السرج عليه تعظيمًا له وتبركًا به ، والطواف به كذلك ، وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفاً بلعن من اتخذ على القبر سرجًا ، وأما اتخاذها أوثانًا فجاء النهي عنه بقوله ﷺ : «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد بعدي»(١) أي لا تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له ، أو بنحوه إلى أن قال : فإن أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها ، واتخاذها مَساجد أو بناءَها عليها ، والقول بالكراهة محمول على غير ذلك ، إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي ﷺ ، لعن فاعله ، ويجب المبادرة لهدَمها وهدم القباب التي على القبور ، إذ هي أضر من مسجد الضرار ؛ لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ ؛ لأنه نهى عن ذلك وأمر ﷺ بهدم القبور المشرفة ، وتجب إزالة كل قنديل أو السراج على القبر ، ولا يصح وقفه ونذره»(٢) .

وقال النووي : «ولا يجوز أن يطاف بقبره ﷺ ، ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر ، قاله أبو عبيد الله الحليمي وغيره ، قالوا ويكره مسحه باليد ، وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه من حضره في حياته ﷺ .

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم كذلك ، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيره وجهالاتهم . . ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع ، وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب؟»(٣) .

---

(١) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد ٢/ ٢٢٦ حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ومالك مرسلاً (١/ ١٧٢) ح (٨٥) وعبد الرزاق في المصنف مرسلاً (٨/ ٤٦٤) من طرق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري .

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر : ١/ ١٩٥

(٣) المجموع ٨/ ٢٥٧_٢٥٨ .

وكلام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ فيه دليل على أن أكثر ما يفعله الجهال من العوام في زماننا هو من المحدثات المخالفة للشرع الحنيف ، والتي لا ينبغي ولا يجوز التعويل عليها ، أو الاحتجاج بها ، ولا بركة فيها لمخالفتها لشرع الله تعالى .

وقال البغوي : «يكره أن يضرب على القبر مظلة ؛ لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ رأى مظلة على قبر فأمر برفعها ، وقال : دعوه يظله عمله»[١] .

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه :

«ويكره تجصيص القبر والبناء عليه . . والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة ، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه ، أو في غيره ، نعم بحث الأذرعي حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتى عند تكرار الدفن ، ووقع المطر ، وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين ، لا سيما بقبور الأنبياء والصالحين . . قال : ليس العمل عليه الآن ، فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم ، فهو عمل قد أخذَ به الخلف عن السلف ويرد بمنعه هذه الكلية ، وبفرضها ، فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد لا سيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهي عنه ، فكذا هي ، فإن قلت : هو إجماع فعل وهو حجة كما صرحوا به قلت : ممنوع بل هو أكثري إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذي يرون منعه ، وبفرض كونه إجماعًا فعليًا فعمل حجيته كماهو ظاهر عند صلاح الأزمنة ، بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة ، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر ـ إلى أن قال : وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة[٢] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي رضي الله عنه التي بناها بعض الملوك ، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما

(١) المجموع ٥/ ٢٦٦ .

(٢) هي المكان الذي يقبر فيه .

لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام(١) .

ولتنظر أيها القارئ إلى مبلغ احتياط هؤلاء العلماء في حماية جانب التوحيد حتى أفتى جمع منهم بهدم القبة التي على قبر الشافعي رحمه الله ، وهو من كبار أئمة أهل السنة ، فكيف بمن دونه في العلم والفضل ، حتى لقد بنيت قباب على قبور أناس غير معروفي الأصل ، وليسوا من أهل العلم والفضل ، كما حدث عند السيد البدوي وغيره ممن لهم قباب معروفة مشهورة .

وقال البيضاوي - كما في حاشية السيوطي على سنن النسائي : «لما كان اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ، ويتوجهون إليها تعظيمًا لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها واتخذوها أوثانًا لعنهم الله ، ومنع المسلمين من مثل ذلك . وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه»(٢) .

وقال السويدي الشافعي : فتراهم يرفعوها فوق كل رفيع ، ويكتبون عليها الآيات القرآنية ، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج ، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة ، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيره ، وعلقوا عليها قناديل الذهب ، وبنوا عليها قبابا من الذهب ، أو الزجاج المنقوش ، وزخرفوا أبوابها ، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفًا عليها من اللصوص ، كل ذلك مخالف لدين الرسل ، وعين المحادة لله ورسوله ، فإن كانوا متبعين فلينظروا إليه ﷺ كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب ، وينظروا إلى قبره الشريف ، وما علمت الصحابة فيه»(٣) .

---

(١) . كما في العقد الثمين ص ١٨٦ .
(٢) حاشية سنن النسائي ٢/ ٤٢ .
(٣) العقد الثمين ص ١٨٥ .

وقال النووي : «إنما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمهم والافتتان به ، فربما أدَّى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية ، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ ، حين كثر المسلمون ، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها فدفن رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ، ويؤدي إلى المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يمكن أحد من استقبال القبر[(١)] .

وجاء في الباعث في إنكار البدع والحوادث:

ص ١٠٣ : «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها ، وينوطون بها المسامير والخرق فهي ذات أنواط فاقطعوها» .

شبهة وجوابها :

لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف حيث اتخذ قومهم لهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين :

الأول : أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة .

والثاني : على فرض أن هذا عمل المسلمين ، ولكن هم غير محمودين في هذا العمل[(٢)] .

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥/١٣ـ١٤ .
(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٧٨ .

ومن كل ما سبق يتبين مدى حرص أئمة الشافعية كغيرهم من باقي علماء المذاهب الأخرى ، على حماية التوحيد مما يخدش ، وكذلك حرصهم على إبعاد كل مظاهر الشرك ، وإغلاق أبوابها ، فحرموا كل ما يؤدي إليه من تعظيم القبور بأي شكل كان ، والحلف بغير الله ، ونحو ذلك ، فالعجب ممن ينتسب إلى الشافعي من أدعياء العلم ، أو غيرهم ، ثم يفعل مثل هذه المنكرات ، ويدعو إليها ويزينها للناس ويبيحها لهم فما أجرأ هؤلاء على مخالفة النصوص ، وعلى مخالفة الأئمة الكبار رحمهم الله تعالى .

الخلاصة :

١ ـ كان الشافعي رحمه الله هو وأتباعه من أشد الناس نهيًا عن الوسائل المؤدية إلى الشرك .

٢ ـ ثبت عنهم النصوص الكثيرة في التحذير من الغلو في المقبورين بأي شكل من الأشكال . وكذلك تعظيم القبور بأي صورة من الصور .

٣ ـ ثبت كذلك نهيهم الشديد عن الحلف بغير الله تعالى .

المناقشة :

س ١ : هل اهتم الشافعي ـ رحمه الله ـ هو وأتباعه ببيان وسائل الشرك والتحذير منها؟

س ٢ : أذكر بعض وسائل الشرك التي حذر منها الإمام الشافعي وأتباعه؟

س ٣ : هل يجوز الحلف بغير الله تعالى ؟

ثانيا : نماذج من الشرك التي حذر منها الإمام الشافعي وبعض أتباعه

لقد اهتم الإمام الشافعي رحمه الله وأتباعه ببيان صور الشرك في الربوبية والألوهية ، وغيرها ، وحذروا منها أشد التحذير ، كما ثبت في الفصل السابق ، وكما سيتبين كذلك في هذا المبحث إن شاء الله تعالى ، مما يوضح تحذيرهم من الشرك الأكبر والأصغر فأقول :

جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر : كالدعاء والاستغاثة بغير الله(١) . والسجود لغير

---

(١) لقوله تعالى : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [الأنفال : ٩] ، ولقوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] . و ،قوله تعالى : ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [الأحقاق : ٥] . وقول النبي ﷺ : «إن الدعاء هو العبادة» .

ولمزيد من التعرف على أقوال الشافعية انظر الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي ص ٩٥ ، ٧١ والعقد الثمين ص وتطهير الجنان ص ٣٨ .

وأما ما حكى بعضهم عن الشافعي أنه قال : «إذا نزلت بي شدة أجيء فأدعوا عند قبر أبي حنيفة فأُجاب» قال الألوسي الحنفي : هذا كذب معلوم كذبه عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة ، بل ولم يكن عند عهد الشافعي معروفاً وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله ، من العلماء ، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ ثم أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند قبر غيره ، ثم إن الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكراهة تعظيم القبور خشية الفتنة بها ، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن ولو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لم جاز التمسك بها حتى تثبت بطرق أهل الحديث فكيف بالمنقول عن غيره . ومنها ما قد يكون صحابي قاله أو فعله باجتهاد يخطىء ويصيب أو قاله بشرط وقيود كثيرة على وجه لا محذور فيه فحرف النقل عنه كما أن النبي ﷺ : لما أذن في زيادة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والإستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بن نقل لا يجوز إثبات الشرع به ، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها» . فتح المنان ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

الله(١) ، والركوع لغير الله(٢) ، والنذر لغير الله(٣) ، والذبح لغير الله (٤) ، أو اعتقاد أن أحداً يعلم الغيب(٥) ، والحلف بغير الله(٦) ، وقول ما شاء الله وشئت (٧) ، واعتقاد أن السحر له تأثير بذاته (٨) .

قال الشافعي : «ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل :

---

(١) لقوله تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران : ٤٣] ، ولمعرفة موقف الشافعية انظر روضة الطالبين ٧/ ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، والجمل على شرح المنهج ٥/ ١٢٤ ، ومغني المحتاج ٤/ ١٣٦ ، والإعلام بقواطع الإسلام ٩٥ ، ٦٣ ، ١٩ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٢٠ ، ٢١ وتطيهر الجنان ص ٣٧ .

(٢) لقوله تعالى : ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران : ٤٣] ، ولمعرفة موقف أئمة الشافعية انظر الجمل على شرح المنهج ٥/ ١٢٤ .

(٣) لقوله تعالى : ﴿وليوفوا نذورهم﴾ [الخ :٢٩] . فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى . ولمزيد التعرف على أقوال الشافعية انظر : المجموع ٨/ ٤٣٥ ، ومغني المحتاج ٤/ ٣٧١ ، وتطيهر الجنان ص ٣١ ، ٣٧ ، والعقد الثمين ص ٢١٩ ، وفتح المجيد ص ٢١٣ ، وقرة عيون الموحدين ص ٩٦ ، ٨٦ .

(٤) لقوله تعالى : ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر : ٢] وقوله تعالى : ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام : ١٦٢] . فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه . ولمعرفة أقوال أئمة الشافعية انظر : روضة الطالبين ٧/ ٢٨٤ ، والزواجر ١/ ١٦٧ ، والعقد الثمين ص ٢٢٢ ، وتطهير الجنان ص ٣٧ .

(٥) لقوله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ [الجن : ٢٦] . وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل : ٦٥] . ولمعرفة أقوال الشافعية : انظر الإعلام بقواطع الإسلام ص : ٦٩ ، ٧١ ، العقد الثمين ص والبغوي : ٤/ ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٦) لقوله ﷺ : «من حلف بغير الله فقد أشرك» وفي لفظ : «فقد كفر» . ولمعرفة أقوال الشافعية : انظر الأم ٧/ ٦١ المجموع ص ١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، شرح السنة ١٠/ ٩ ، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٤/ ١٤٤ ، حلية العلماء ٧/ ٢٤٦ ، ومغني المحتاج ٤/ ٣٢٤ ، والجمل على شرح المنهج ٥/ ٢٨٨ ، وفتح الباري ١١/ ٥٣٠ ، ٥٣١ .

(٧) لقول النبي ﷺ : «أجعلتني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده» وذلك لمن قال له ما شاء الله وشئت . ولمعرفة موقف الشافعية : انظر شرح السنة ١٢/ ٣٦٠ ، ٣٦١ .

(٨) لقول تعالى : ﴿فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾ [الأعراف : ١١٦] ، وقوله تعالى : ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه : ٦٩] . وانظر موقف الشافعية في كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ص٩٨ .

والكعبة ، وأبي ، وكذا وكذا مكان ، فحنث فلا كفارة عليه ، ومثل ذلك قوله : لعمري لا كفارة عليه ، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله ﷺ : «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت»[(١)] .

أخبرنا ابن عيينة ، قال : حدثنا الزهري قال : حدثنا سالم عن أبيه قال : سمع النبي ﷺ عمر يحلف بأبيه فقال : ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم قال : عمر رضي الله عنه : والله ما حلفت بها بعد ذلك»[(٢)] . وقال الشافعي رحمه الله : فكل من حلف بغير الله كرهت له ، وخشيت أن تكون يمينه معصية»[(٣)] .

وقال ابن حجر الهيثمي المكي : «الكبيرة السابعة والستون بعد المائة : الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به ، بألا يقصد تعظيم المذبوح له ، كنحو التعظيم بالعبادة والسجود إلى أن قال : وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول : باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر اسم الثاني أو محمد إن عرف النحو فيما يظهر ، أو يذبح كتابي لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى ومسلم لكعبة أو لمحمد ﷺ أو تقرب بالسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهي كبيرة»[(٤)] .

أقول : في كلامه هذا نظر ، فكيف يكون الذبح على غير اسم الله ولا يكون

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠) ح (٦٦٤٦) في الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم ، ومسلم في الأيمان (٣/ ١٢٦٦) باب النهي عن الحلف بغير الله ، والنسائي (٧/ ٤) في الأيمان باب الحلف بالآباء . وأبو داود ٣/ ٥٦٩) ح (٣٢٤٩) ، في الأيمان باب في كراهية الحلف .

(٢) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٧٠ ح ٣٢٥٠ ، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء ، النسائي كتاب الأيمان باب الحلف بالآباء (٧/ ٤) ح (٢٧٦٦) وابن ماجة في الكفارات (١/ ٦٦٧) ح (٢٠٩٤) من رواية سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه .

(٣) كتاب الأم ٧/ ٦١ .

(٤) الزواجر : ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

معه تعظيم للمذبوح له وهذا الكلام قريب من كلام المتكلمين فالشرك عند أهل الكلام لابد أن يكون مقصوداً به تعظيم هذا المعبود من دون الله ، وأما صرف العبادة له دون تعظيم فهذا لا يسمى شركًا عندهم ، وهذا الكلام فيه نوع تناقض .

وقال الرافعي في شرح المنهاج : «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع قصود العامة ـ تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بني على اسم ، فهذا النذر باطل غير منعقد ؛ فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ، ويستجلب بها النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليه عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والزيت ، ويقولون : القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذل : أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض : أو قدوم غائب ، أو سلامة مال ، وغير ذلك أنواع نذر المجازات ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل ، عليه السلام ، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء ، فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركًا وتعظيمًا ظانًا أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والإيقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع أم لا»[١] .

وقال النووي : إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ، وهي : المسجد الحرام ، والمدينة ، والأقصى ؛ لم يلزمه ولا ينعقد نذره عندنا»[٢] .

---

(١) فتح المجيد ص ٢١٣ .
(٢) المجموع ٨/ ٤٧١ .

وقال ابن حجر المكي في شرح المنهاج :

«لا يقول باسم الله واسم محمد» قال ابن حجر : يحرم عليه ذلك للتشريك ؛ لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه ، نعم إن أراد الذبح باسم الله والتبرك باسم محمد كره فقط» .

وقال أحمد بن حجر آل بوطالمي الشافعي :

«أي لا ينذروا لغير الله ، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق ، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين ، ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني ، والحسين ، والبدوي ، والدسوقي ، وغيرهم فإن هذا شرك لا مراء فيه ، وكثير من المبتدعين الجاهلين ينذر للصالحين ، وبعضهم يرسل أموالا . . للسدنة ولتعمير القباب كما يفعل ذلك الكثير من الهنود والباكستانيين بنذرهم لعبد القادر الجيلاني اموالاً طائلة ، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة ، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة ، وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً بقبور أهل البيت في النجف وكربلاء وخراسان وقم ، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور للطواف بها ، والاستغاثة بساكينها ، وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، مما لا يقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات ، وكذلك لا يجوز النذر لقبول الأولياء والصالحين ، فكذا لا يجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم ، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء ، بل يستغفر الله ، ويتوب إليه ، ويأتي بالشهادتين ؛ لأنه مرتد إن علم أن النذر لغير الله شر ، ومن وقف عقاراً أو حيوانًا على قبور الأولياء فوقفه باطل ، أو وصى لها فوصيته باطلة ، وذلك العقار أو الحيوان لازال على ملك صاحبه ، نسأل الله لنا ولهم التوفيق . وقول بعضهم : إن النذر لله والثواب للولي كلام باطل وضلال عاطل ، فأي شيء أدخل الولي هنا؟ إن كان قصده الصدقة فليتصدق على الفقراء عن نفسه ، وعن أبويه وأقاربه ، وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي !

والأمور بخواتيمها فقد يكون ظاهره صديقًا ، وباطنه زنديقًا ، ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر ، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي ، وليس القصد من هذا إلا تلبيس وقلب الحقائق ، وهم لا يقصدوا إلا الولي على أنالعلماء قد صرحوا أن لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ، للحديث عن ثابت ابن الضحاك قال : «نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال : «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ «أوْف بنذرك ، فإنه لا وفاء للنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم»(١) . . .»(٢) .

وقد أجاب أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي عن شبهات القبورية وهي :

الأولى : قول بعض الجاهلين : إن هؤلاء ـ يعني القبوريين ـ يقرون بالخالق ، ويعتقدون بشرائع الإسلام وبيوم الجزاء ، وغاية ما هنالك أنهم يتوسلون بهؤلاء الصالحين ، ولا يرضون بلقب الشرك ، بل ينفرون منه ، فكيف يمكن أن يقال : بأنهم مشركون؟

الثانية : أن المشركين كان كفرهم من أجل إنكارهم للربوبية لا من حيث صرف العبادة لغير الله مستدلين بقوله تعالى : ﴿قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[الفرقان:٦٠] وبقوله : ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الرعد : ٣٠] .

أجاب بما يأتي :

الجواب عن الشبهة الأولى : قال : فالجواب عن تسميتهم مشركين أن الكفر والشرك شعب وأنواع ، كما أن الإيمان له شعب ، فإذا ما أتى بكثير من شعب

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤم به من الوفاء بالنذر (٣/ ٦٠٧) ح (٣٣١٣) والبيهقي في السنن ١٠/ ٨٣ والطبراني في الكبيرح (١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك وصححه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/ ١٨٠ .
(٢) تطهير الجنان ص ٣١ ، ٣٢ .

الإيمان وأتى معه بشيء من شعب الشرك ، فيقال له : مشرك ، مثلاً لو صلى وصام واعتقد بالرسالة والقيامة واتصف بالزهد ومكارم الأخلاق لكنه اعتقد في كوكب بأن له تأثيراً ، أو أن بيده نفعًا أو ضراً ، أو اعتقد في ملك أو رسول ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله فنسميه مشركا ، وإن أتى بجميع خصاله وأنواعه ، وتوسلهم لاعتقادهم بأنهم مذنبون ، وهؤلاء أقرب عند الله فيوسطونهم بينهم وبين الإله ، هذا هو شرك العرب بعينه . . وأما تشهدهم بالشهادتين فهو منتقض بأعمالهم المنافية لهما : كالحدث بعد الوضوء ، وإقرارهم بالخالق لا يفيد ؛ لأن المشركين كانوا مقرين بالربوبية ، ولم يدخلهم في الإسلام .

وأما قول من يقول : بأن مشركي العرب كانوا منكرين للبعث .

فالجواب : أن هذا الاعتقاد من جملة المكفرات ، والرسول ﷺ كفرهم وأباح دماءهم لأمور كثيرة ، أعظمها عبادتهم للأوثان ، ومنها إنكارهم للبعث ، ولا يقبل من الإنسان أن يؤمن ببعض ويكفر ببعض ، بل واجب عليه أن يذعن معتقداً بكل ما أتى به القرآن وجاء به الرسول ﷺ ويعمل بهما ، فمن آمن ببعض ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر ، كما قال الله تعالى مخبراً عنهم : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء :١٥٠] ، ولا ينفعهم مجرد النطق بكلمة الشهادتين حتى يعمل بمقتضاها من البراءة ، مما يعبد من دون الله ، وصرف جميع العبادات كائنة ما كانت إلى الله . . ولكن هل يحكم على الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة المتلوثة بتلك الخصال المنافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول ، وآتية بسائر الشرائع؟

الجواب : يقال هذا العمل شرك وكفر ، مثلاً كالسجود للولي والطواف بقبره ، أو النذر له ، ولكن الشخص المعيَّن أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ المبينة للشرك

والمحذرة عنه ، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة ، وأن هذه الأعمال هي شرك فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل ، فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فرداً معينًا ، وليكن الشخص ذا تفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر ، كالرياء فإنه شرك أصغر ، والسجود والنذر لغير الله أكبر . . فإن قيل : يلزم من كلامكم تكفير الأكثرية من الأمة المحمدية حيث إنهم يعلمون ما تقولون بأنه شرك مثل النذر للأولياء والنحر لهم :

فالجواب :

أولا : أن القول بالعموم مغاير للقول بالخصوص .

ثانيا : غلبة الجهل ، وقلة العلم بالتوحيد والسنة المطهرة ، ومعرفة الشرك وأقسامه ذرائع في كثير من الأماكن والبلدان هو المانع من الحكم بالشرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معانداً فذاك يحكم عليه بالشرك»(١) .

الجواب عن الشبهة الثانية:

أن الآية الأولى : فيها استفهام عن الرحمن والاستفهام عن الشيء لا يكون جحداً له ، على أننا لقلنا استفهام إنكاري فإنه إنكار للتسمية بالرحمن لا غير ، كما يوضحه كتابه صلح الحديبية .

والآية الثانية : فيها الكفر بالرحمن ، والكفر بالشيء لا يكون إنكاراً له تقول لمن فعل فعلاً كفريًا : كفر فلان ، وهذا يدل على أنه منكر للرب ، على أنه معارض بالآيات المنبئة عن اعترافهم بالربوبية»(٢) .

ومن هنا يتبين لنا مدى تحذير علماء الشافعية من الشرك وعاقبته الوخيمة في

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (ص ٣٧ : ٤٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه ص : ٤٤ .

الدنيا والآخرة . وبيان ما يوقعه في المسلمين من الخسارة والخذلان ، ويتضح لنا أنهم من أكثر الناس كلامًا في هذا الباب ، وأنهم رحمهم الله تعالى ساروا على ما سار عليه السلف من الحرص على حماية التوحيد ، والقضاء على كل مظاهر الشرك ، فرضي الله عنهم جميعًا .

الخلاصة :

١ ـ كثرت النصوص المنقولة عن الشافعي ـ رحمه الله ـ هو وأتباعه في بيان صور الشرك الأكبر والأصغر والتحذير منها .

٢ ـ وردت عنهم نصوص تحذر من دعاء غير الله واستعانته والحلف به ، وتعظيمه والاعتقاد في السحر ، وغير ذلك .

٣ ـ يرى الشافعي وأتباعه أن النذر في معصية باطل ، لا يجب الوفاء به ، وأنه ما ذبح على اسم غير الله لا يجوزأكله ، سواء ذكر الله معه أم لا .

المناقشة :

س ١ : هل اهتم الشافعي رحمه الله بالتحذير من الشرك الأصغر والأكبر أم لا؟

س ٢ : اذكر عددا من صور الشرك التي حذر منها هو وأتباعه مع ذكر دليل واحد لكل منها .

س ٣ : ما حكم النذر في معصية الله؟ وهل يجوز الوفاء به؟

س ٤ : رجل ذبح باسم الله وأشرك اسم محمد ﷺ تبركًا هل يجوز الأكل من تلك الذبيحة؟ وما السبب؟

الفصل الثاني :

الشرح الميسر على كتاب الإيمان للمليباري الشافعي

تأليف د . محمد بن عبد الرحمن الخميس

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ، ثم أما بعد .

فكنت بحمد الله تعالى قد فرغت من بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه ، وذلك في كتابي الموسوم بـ (شرح العقيدة الطحاوية الميسر) .

ثم بيان اعتقادهم رحمهم الله على مذهب الإمام مالك رحمه الله ، وذلك في كتابي الموسوم بـ(شرح القيروانية الميسر) ، وذلك من فضل الله تعالى بشرح : مقدمة ابن أبي زيد القيرواني .

وها أنا ذا أقدم للقراء بيان اعتقاد أهل السنة رحمهم الله على مذهب الشافعي رحمه الله ، وذلك من خلال شرح (باب الإيمان وباب الردة) ، من كتاب (إرشاد

العباد إلى سبيل الرشاد) ، ومؤلفه هو : زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المحبري المليباري ، فقيه شافعي ، من أهل مليبار ، وهي إقليم كبير في بلاد الهند .

وهو من علماء القرن العاشر الهجري ، له مشاركة في كثير من العلوم ، من أهل البيت علم ودين وله تصانيف نافعة ، منها (فتح المعين بشرح قرة العين) له :

- ومختصر في أحاديث ذكر الموت .

- وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد .

وكلها مطبوعة متداولة ، توفى رحمه الله سنة ٩٨٧هـ .

وعسى أن يكون هذا الكتاب امتدادا لما بدأته في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، وبيان أن أئمة المذاهب الأربعة متفقون في مسائل أصول الدين كلها تقريبا ، لولا خلاف بعضهم في مسألة الإيمان .

ومنهجي في إعداد هذا الكتاب هو نفس النهج الذي جريت عليه في (شرح السحاوية الميسر) ، و(شرح القيروانية الميسر) ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

باب الإيمان

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢]..

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣].

اللغة

(اعبدوا) توجهوا بالعبادة واصرفوها إلى (ربكم) الرب هو المالك المتصرف. (تتقون) تجعلون بينكم وبين غضبه وعذابه وقاية (أندادًا) جمع ند وهو النظير والمماثل والمكافئ. (اعتدنا) أعددنا (سعيرًا) هو نار جهنم.

الشرح: في الآية الأولى يأمر الله عباده جميعًا بعبادته وإفراده بها، وصرفها بكل أنواعها إليه، مذكرًا إياهم بأنه هو الذي خلقهم وخلق جميع الناس، وبأنه ربهم، وأنهم إن فعلوا ذلك اتقوا عذابه واجتنبوا غضبه، ثم يبين الله تعالى لهم بعضًا من مظاهر ربوبيته وقيوميته، فهو الذي سخر لهم الأرض وجعلها لهم فراشًا وجعل لهم السماء بناء وسقفًا محفوظًا، وأنزل من السماء ماء فجعله سببًا لحياة النبات والثمار، وهكذا أخرج لهم من الأرض صنوف النبات رزقًا لهم، وغير ذلك من مظاهر نعمه على عباده، فلما كان الله تعالى هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، كان هو المستحق للعبادة إذ لا ينبغي صرف خالص حقه من العبادة إلى ما سواه من الأنداد والأضداد، من هنا نهاهم أن يجعلوا لله أندادا ونظراء، وشركاء، لأنهم ما داموا مقرين بربوبيته، فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، إذ كيف يليق صرف العبادة لمن لا يملك شيئا؟

وفي الآية الثانية ، يتوعد الله من كفر به وبرسوله وأعرض عن الإيمان يتوعده بأن الله تعالى قد أعد له سعيراً وهي نار متأججة شديدة الحر ، يصلاها جزاء كفره وإعراضه .

الخلاصة :

المتفرد بالخلق والرزق والتدبير هو الله تعالى وحده ، ومن هنا فلا ينبغي ولا يجوز صرف العبادة لغيره ، ومن كفر به وأعرض عن الإيمان به وبرسوله فإن مصيره إلى النار .

المناقشة :

س ١ : من الذي تفرد بالخلق والرزق والتدبير؟

س ٢ : من هو المستحق أن يفرد بالعبادة؟

س ٣ : ما معنى أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؟

س ٤ : ما جزاء المعرض عن الإيمان بالله ورسوله؟

حديث جبريل

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسندر ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ! أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة . قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان . قال : ثم انطلق ، فلبثت مليًا ، ثم قال لي : «يا عمر ! أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»(١) .

اللغة : (الإسلام) الاستسلام والانقياد . (تشهد) الشهادة هي الإخبار عن علم . (تقيم) تؤدى . (تؤتى) تعطى . (عجبنا) دهشنا . (الإيمان) التصديق . (الساعة) القيامة . (أماراتها) جمع أمارة وهي العلامة . (ربتها) سيدتها . (العالة) الفقراء . (يتطاولون في البنيان) أي يرتفعون في البناء . (لبث مليًا) انتظرت برهة من الزمن .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم (١/ ٣٦) ح ٨ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حدث ابن عمر عن عمر رفوعا ، وأخرجه البخاري (١/ ١٤٠) ح٥ في الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، ومسلم (١/ ٣٩) ح٩ في الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام كلاهما من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا .

الشرح : يخبر عمر بن الخطاب رضي عنه أنهم كانوا جلوسًا عند النبي ﷺ يومًا ، فطلع عليهم رجل أبيض الثياب ناصعها ، أسود الشعر فاحمه ، ولا يظهر عليه أي أثر من آثار السفر ، أو غباره ، أو غير ذلك ، كأنما هو من المدينة ، ومن العجيب أن أحدا لا يعرفه من الجالسين ، وهذا من غرائب الأمور ، فدنا من النبي ﷺ حتى أسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذي النبي ﷺ كما ثبت في بعض طرق الحديث ، وهي جلسة المتعلم ، كما ذكر أهل العلم ، ثم سأل النبي ﷺ عن الإسلام ، فعرفه له النبي ﷺ بقوله : (الإسلام - أي حقيقة الإسلام - أن تشهد أن لا إله إلا الله) والشهادة هي الإخبار عن علم ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [1]والمقصود أن حقيقة الإسلام أن تقر وتعترف وتشهد ظاهراً وباطنًا على الحقيقة بأنه لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى ، إذ هو المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير ، فلما كان الأمر كذلك فلا مستحق للعبادة غيره ، كما قال تعالى : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ [2]» ، فهناك آلهة تعبد من دونه ، لكنها لا تستحق العبادة ، لأنها لا تملك شيئًا ، ثم قوله (وأن محمداً رسول الله)ﷺ تشمل الإقرار والاعتراف بنبوة محمد ﷺ ورسالته ، وتشمل كذلك الإقرار بأن الله قد اصطفاه على خلقه ، والإقرار بصدقه ، فيما أخبر عن الله عز وجل والإقرار بأنه لا يهدي إلا إلى الخير وغير ذلك ، مما يتعلق بحقوقه ﷺ ، وقوله (**وتقيم الصلاة**) أي تؤدي الصلاة المفروضة محافظا عليها في أوقاتها ، محافظا على أركانها وواجباتها وسننها ، مجتنبا لما يبطلها وينقص ثوابها ، محافظًا على الخشوع فيها ، والقيام بحقوقها ، ومتابعة النبي ﷺ في كل أفعالها وآدابها ، مخلصًا لله تعالى فيها ، وذلك مراعاة لحقها وحرمتها ، ومكانتها ، وقوله (وتؤتي الزكاة) أي تخرج الزكاة التي افترضها الله تعالى في صنوف المال ، تخرجها إذا حان وقتها ، واستوفت شروطها من

---

(١) سورة الزخرف الآية (٨٦) .

(٢) سورة الحج الآية (٦٢) .

بلوغ النصاب ، ونوه ، وتخرجها لمستحقيها من الأصناف الثمانية التي ذكرها الله في كتابه عند قوله عز وجل : ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ . . .﴾[1] ، وقوله : ﴿وتصوم رمضان﴾ أي تؤدي ما فرض الله عليك من صيام شهر رضمان ، وذلك على الصفة الواردة في الشرع ، محافظا على سلامة الصيام مما يبطله أو ينقص أجره ، وقوله «وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلا» ، أي تؤدي فريضة الحج على ما أمر الله تعالى في وقتها المحدد ، مع المحافظة على أركانها وواجباتها وسننها ، والحذر مما قد يبطلها أو ينقص أجرها ، وذلك لعظم حقها ومنزلتها ، وذلك لمن ملك الزاد والراحلة ، فإن هذا هو معنى الاستطاعة ، ولما أخبره النبي ﷺ بكل هذا قال له الرجل : صدقت . وهنا تعجب الصحابة ، لأن سؤاله يقتضي عدم علمه بما سأل عنه ، وتصديقه للنبي ﷺ يقتضي علمه ، فمن هنا تعجب الصحابة رضي الله عنهم ، ثم إنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان ، فقال له النبي ﷺ مجيبا له ومعرفًا بالإيمان وذاكرًا لأركانه ، قال : أن تؤمن بالله ومعنى الإيمان بالله على الوجه الصحيح ، الإقرار والتصديق بوحدانيته في ربويته ، وقيوميته ، وملكه ، وفي ألوهيته ، واستحقاقه لعبادة ، وفي أسمائه وصفاته .

وأما الإيمان بالملائكة فإنه الركن الثاني من الأركان الستة المذكورة في الحديث ، وهذه الأركان كلها يأتي الكلام عليها تباعًا وتفصيلا ، ثم الإيمان بالملائكة الكرام وهذا هو الركن الثاني ، ثم الإيمان بالكتب السماوية ، ثم الإيمان بالرسل الكرام ، من علمنا منهم ومن لم نعلم ، ثم الإيمان باليوم الآخر ، وما يكون فيه من الشدائد العظام ، والأهوال الجسام ، وأخيرًا الإيمان بالقدر ، خيره وشره ، وذلك بالمراتب الأربعة المعروفة وهي العلم ، والكتابة ، والإرادة ، والخلق ، ولا يكمل الإيمان بالقدر إلا باستكمال هذه الأركان كلها ، ولما بين النبي ﷺ هذه الأركان الستة صدقه جبريل فيما قال ، ثم سأله بعد ذلك عن المرتبة الثالثة من مراتب الدين ، وهي مرتبة الإحسان ، فقال له النبي ﷺ مبينًا له حقيقة معنى الإحسان

(١) سور التوبة الآية (٦٠) .

(أن تعبد الله كأنك تراه) أي اعبده بخشوع وإحسان ومراقبة كأنما هو أمام عينيك، كأنك تراه أمامك، (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أي إذا كنت لا تراه فاعلم أنه هو يراك، ويعلم سر أمرك وعلانيته فاعبده على هذا الأساس بالخوف والمحبة والرجاء والتذلل، ثم سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الساعة فبين له النبي ﷺ أنها غيب وأنه لا يعلم عنها أكثر مما يعلمه السائل - أي جبريل - عليه السلام، وهنا سأله جبريل عن أماراتها - أي علاماتها - فبين له النبي ﷺ بعضًا من علاماتها، فمنها أن تكثر السراري والإماء حتى تنجب الأمة من سيدها ولدا يكون لها بمنزلة السيد كأبيه، وهذا هو معنى قوله عليه الصلاة والسلام (أن تلد الأمة ربتها)، ومن هذه العلامات أيضا أن تفتح الدنيا على العرب، حتى يصبح الأعراب الذين كانوا فقراء عالة حفاة، يرعون الأنعام، يصحبون أهل مال وثراء، ويبنون المباني الضخمة العالية، فيتسابقون فيها، وهذا من أمارات نبوة النبي ﷺ، فكل ذلك قد وقع كما أخبر ﷺ ثم أن ذلك الرجل الغريب قد انطلق، وبعد فترة من الزمن لاق النبي ﷺ لعمر: (أتدري من السائل)، هل تعرف ذلك الرجل الغريب؟ فبين عمر أنه لا يدري وأن العلم عند الله تعالى، وأن الرسول ﷺ بما يوحي إليه، ربه أعلم بحقيقة الأمر، قال النبي ﷺ مبينًا حقيقته، «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»، أن أن كل ما سمعته من كلام هو شامل لجميع أمور الدين ومسائله، ومبانيه العظام، ولأجل ذلك أتى جبريل خصوصًا لكي يسأل عنها مع علمه بها، قاصداً بذلك بيانها للناس، حتى يكونوا على علم بحقيقة دينهم، وبكل مسائله .

الخلاصة :

الدين اسم جامع لمعاني الإسلام والإيمان والإحسان وكلها مراتب لهذا الدين ، وللإسلام خمسة أركان ، وللإيمان ستة أركان ، أما الإحسان فهو ركن واحد .

المناقشة :

س ١ : عرف كلاً من : الإسلام ـ الإيمان ـ الإحسان . . كما في الحديث .

س ٢ : كم عدد أركان الإسلام والإيمان في الحديث .

س ٣ : اذكر بعضًا من أشراط الساعة الواردة في الحديث .

(وجوب التلفظ بالشهادتين)

قال التاج السبكي : الإسلام : أعمال الجوارح ، ولا يعتبر إلا مع الإيمان ، والإيمان : تصديق بالقلب ، ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين .

ونقل النووي في (شرح مسلم) اتفاق أهل السنة ، على أن من آمن بقلبه ، ولم ينطق بلسانه مع قدرته ، كان مخلدا في النار .

واعلم أنه يشترط في إسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين ، ويشترط فهم معنى ما تلفظ به ، وهو انه لا معبود في الوجود إلا الله المتفرد بالألوهية ، ويزيد المشرك : كفرت بما كنت أشركت به ، وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام .

(اللغة) : (الجوارح) جمع جارحة ، وهي أعضاء الإنسان . (لا يعتبر) لا يعتد به . (الألوهية) العبودية . (بريء) البريء من الشيء هو الذي لم يتلبس به ولم يقارفه .

الشرح : نقل المؤلف رحمه الله كلام الإمام السبكي لبيان أن الإسلام هو أعمال الجوارح الظاهرة ، وذلك لأن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام عرفه بأنه الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج ، وكلها من أعمال الجوارح ، كما أن الإسلام معناه الاستسلام والانقياد والخضوع ، وهذا إنما يظهر على الجوارح ويعرف من انقيادها لحكم الله تعالى ورسوله ﷺ ، غير أن هذا الاستسلام الظاهر لا ينفع ولا يعتد به ما لم يكن هناك إيمان باطن ، وتصديق وإقرار ، بوحدانية الله تعالى في ذاته ، وأسمائه وصفاته ، واستحقاقه للعبودية ، فيكون هذا الانقياد الظاهر نابعا من الإيمان الحقيقي ، والتصديق الفعلي ، فبهذا يكون انقياداً صادقًا ، والإيمان أصلاً تصديق بالقلب ، وإقرار واعتراف ، بكل مسائل الإيمان ، وأركانه ، غير أن هذا التصديق لا يعتبر ولا يعتد به ما لم يقترن به تلفظ بالشهادتين ، فهذا هو مقتضى الأحاديث الصحيحة التي تضافرت كلها على بيان وجوب التلفظ

بالشهادتين باللسان ، والنطق بكلمة التوحيد .

ثم نقل المؤلف كلام الإمام النووي حيث نقل في شرحه لصحيح مسلم ، نقل اتفاق أهل السنة على أن من آمن وصدق بقلبه ، وجب عليه النطق بكلمة التوحيد بلسانه ، ما دام قادرا فإن النبي ﷺ قال : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»(١) ، من هنا يتضح أنه مع الكفر بالطواغيت التي تعبد من دون الله فلابد من التلفظ بكلمة التوحيد ، ومن لم يتلفظ بها برغم قدرته كان مخلداً في النار وأما إن منعه مانع كالأبكم ، فإنه يقولها بقلبه ، وهو معذور عند الله عز وجل ، فلابد من اتفاق القلب في إقراره وتصديقه ، مع اللسان في تلفظه وتصديقه ، ثم بعد ذلك لابد من العمل كذلك كما يأتي بيانه . أي يشتطر لصحة إسلام الكافر أن ينطق الشهادتين بلسانه ويتلفظ بهما ، ففي الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله . .»(٢) ، وفي حديث آخر : «حتى يقولوا لا إله إلا الله . . .»(٣) ، وكذلك قال ﷺ : «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»(٤) ، غير أنه لابد أن يفهم الإنسان معنى الشهادتين اللتين تلفظ بهما ، فالأولى تقتضي منه فهم معناها ، وهو أنه لا مستحق للعبادة في الوجود إلا الله تعالى ، فهو المتفرد بالألوهية ، استحقاقا لها ، وذلك بمقتضى تفرده بالربوبية والملك ، والخلق والرزق ، وأما ذكره المصنف من أن المشرك لابد

(١) أخرجه مسلم ١/ ٥٣) ح٢٣ في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، من حديث أبي مالك عن أبيه مرفوعاً .

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٩٤ :٩٥) ح٢٥ في الإيمان باب : «فإن تابوع وأقاموا الصلاة . .» ومسلم (١/ ٥٣) ح٢٢ ، في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولا لا إله إلا الله ، كلاهما من حديث محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر عن ابن عمر مرفوعاً .

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٣٠) ٢٩٤٦ في الجهاد وباب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ومسلم (١/ ٥٢) ح ٢١ في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . كلاهما من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٤) سبق تخريجه .

أن يقول : (كفرت بما كنت أشركت به ، وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام) ، فهذا والله أعلم تحكم لا دليل عليه ، وظاهر الأحاديث الصحيحة لا يدل على لزومه ، أو اشتراطه أو حتى وجوده ، فإن النبي ﷺ دعا المشركين إلى قول لا إله إلا الله محمد رسوله الله ، ورضي منهم بهما ، وحكم بصحة إسلامهم بذلك مع الإقرار بمقتضاهما ومعناهما . والله أعلم .

الخلاصة :

لا ينفع الإسلام بغير الإيمان ، ولابد من التلفظ بالشهادتين لأجل صحة الإسلام ، ما لم يعجز عن النطق بهما ولا يصح إسلام الكافر إلا إذا تلفظ بالشهادتين .

المناقشة :

س ١ : هل يصح إسلام بغير إيمان؟

س ٢ : ما حكم التلفظ بالشهادتين عند الإسلام؟ وهل يصح إسلام الكافر بغير تلفظ بالشهادتين؟

(معنى الإيمان بالله)

واعلم أن الإيمان بالله : اعتقاد أنه واحد لا نظير له في ذاته وصفاته ، ولا شريك له في الألوهية وهي : استحقاق العبادة ، وأنه قديم لا ابتداء لوجوده ، وباقٍ لا انتهاء لأبديته .

اللغة : (لا نظير) هو المثيل والمكافئ . (شريك) هو من له نصيب في الشيء .

الشرح : شرع المصنف في الكلام عن أركان الإيمان ، وبدأ بأعظمها وهو الإيمان بالله تعالى ، وبدأ في بيان معنى الإيمان بالله ، وهذا الإيمان له أقسام .

أولها : الإيمان بتفرده سبحانه بربوبيته ووحدانيته في خلقه ، فهو المنفرد بالخلق والرزق كما قال تعالى : « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ »(١) ، وهو المتفرد بالتدبير والتصريف ، وذلك كما قال تعالى : «إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ»(٢) ، بل وحتى الكفار لم ينكروا ربوبية الله سبحانه وانفراده بالخلق ، كما قال تعالى : « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ »(٣) ، ولم يعرف عن طائفة أو أمة أنها أنكرت وجود الله تعالى إلا ما كان من فرعون لما ادعى الربوبية ، وعلى الرغم من ذلك فقد حكى الله عنه أنه كان مقراً في نفسه ، غير أنه أنكرها جحوداً واستكباراً ، قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا »(٤) ، وهكذا فإن تفرد الله بربوبيته مسألة لا تحتاج إلى كثير إثبات ولا تقرير ، بل هي أمر مستقر في الفطر السليمة .

ثانيها : الإيمان بتفرده سبحانه في أسمائه وصفاته ، فهو سبحانه المستحق لكل

(١) سورة فاطر الآية (٣) .
(٢) سورة فاطر الآية (٤١) .
(٣) سورة لقمان الآية (٢٥) .
(٤) سورة النمل الآية (١٤) .

معاني الكمال والجلال ، وهو المستحق للأسماء الحسنى والصفات العلى ، ومن هذا إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه في كتابه ، أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير أن نشبه الله بخلقه فإن الله تعالى قال : « لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ »(١) ، وكذلك لا نمثل صفات الله تعالى أو نكيفها بما عهدناه من صفات المخلوقين ، فإن هذا تشبيه للخالق بالمخلوق ، بل نثبت الاسم والصفة لله تعالى ولكننا نرجع علم الكيفية إلى الله عز وجل ، إذ لم يرد في الشرع كلام عن الكيفية ولا ذكر لها ، فنقول بما قال الله ورسوله به ، ونسكت عما سكت الله ورسوله عنه .

على أنه ينبغي عند تنزيه الله تعالى عن المشابهة أن لا يؤدي ذلك إلى نفي الاسم أو الصفة ، فإن منهج أهل السنة (إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل) ، فلا ننفي عن الله ، ما وصف به نفسه ولا نؤوله بما يخرجه عن حقيقته فإن ذلك من الإلحاد في أسماء الله عز وجل بل الواجب الإثبات مع اعتقاد التنزيه عن المشابهة ورد الكيفية إلى علم الله تعالى .

ثالثها : الإيمان بأن الله تعالى مستحق للعبادة دون سواه ، وذلك لأنه المتفرد بالربوبية وإفراده بالألوهية من لوازم الإيمان بالربوبية ، إذ كيف يكون هو الخالق والرازق والمدبر ، ثم تصرف العبادة لغيره ، فإن هذا ظلم مبين ، كما قال عز وجل : « إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »(٢) ، ودعوة الناس إلى إفراد الله بالعبودية هي دعوة الرسل جميعا ، كما قال تعالى : «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ »(٣) ، وقال عز وجل : «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(٤) .

وقصص القرآن في حق الرسل مليئة بإثبات ذلك ، وقد أنكر الله سبحانه

(١) سورة الشورى الآية (١١) .
(٢) سورة لقمان الآية (١٣) .
(٣) سورة النحل الآية (٣٦) .
(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٥) .

وتعالى على من علم أن الله بيده كل شيء ثم يصرف العبادة لغيره ، قال تعالى : « قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ . . . »[1] ، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة دون سواه ، لأنه هو المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ، وتوحيد العبودية هو معنى قولنا : « لا إله إلا الله » ، فإن معناها لا مستحق للعبادة إلا الله تعالى ، وإنما لم نكتف بالقول لا معبود إلا الله ، لأن هناك آلهة تعبد من دون الله ، ولكنها باطلة ، لا تستحق ، كما قال تعالى : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ »[2]. فتوحيد العبودية أو الألوهية يعني الإقرار بأنه لا مستحق للعبادة في الحقيقة إلا الله تعالى ، ثم صرف العبادة كلها لله تعالى ، لا يصرف ذرة منها لغيره ، فهذه هي حقيقة دعوة الرسل التي دعوا إليها أقوامهم وخاصموهم فيها ، وهي آكد وأهم الواجبات على العبد .

وقد اشتملت كلمة التوحيد على نفي وإثبات ، فـ « لا إله » فيها نفي استحقاق الألوهية عن كل الطواغيت المعبودة من دون الله ، و(إلا الله) فيها إثبات استحقاق الألوهية لله وحده دون سواه .

---

(١) سورة الأنعام الآية (٦٥) .

(٢) سورة الحج الآية (٦٢) .

الخلاصة :

معنى الإيمان بالله : اعتقاد وحدانيته في ذاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وصفاته ، واستحقاقه للعبودية ، وانه مستحق لكل كمال متنزه عن كل نقص .

المناقشة :

س ١ : اذكر معنى الإيمان بالله تعالى .

س ٢ : لماذا كان الله تعالى مستحقا للعبادة دون سواه؟

س ٣ : ما هو المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد؟

س ٤ : ما معنى أن يقال إن (لا إله إلا الله) نفي وإثبات؟

(الإيمان بالملائكة)

وبالملائكة : اعتقاد أنهم مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، صادقون فيما أخبروا به .

اللغة : . . . .

الشرح : هذا هو الركن الثاني من اركان الإيمان ، وهو الإيمان بالملائكة الكرام ، وهم خلق نوراني اصطفاهم الله عز وجل ، فهم قائمون على تنفيذ أمره سبحانه ، فوجب الإيمان بهم ، واعتقاد أنهم خلق مكرمون ، كما قال سبحانه : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ »(١) ، وكذلك قال تعالى في شأنهم : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ »(٢) . وقال : « كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ »(٣) .

وكذلك يجب على المسلم أن يعتقد أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، كما قال جل شأنه : « عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »(٤). وقال تبارك وتعالى : «لَا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» .

وكذلك فإن الملائكة صادقون فيما يخبرون به عن الله تعالى من أمر الوحي وغيره ، كما قال تعالى في حق صاحب الوحي : « مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ »(٥) .

ويجب الإيمان بكل من ورد تعيينه من الملائكة ، فمنهم جبريل صاحب الوحي ، ومنهم ميكائيل الموكل بالرياح والمطر وغيرها ، وقد قال تعالى :

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٢٦ :٢٧) .
(٢) سورة الإنفطار الآيتان (١٠ :١١) .
(٣) سورة عبس الآية (١٦) .
(٤) سورة التحريم الآية (٦) .
(٥) سورة التكوير الآية (٢١) .

«مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ»(١)، ومنهم إسرافيل صاحب الصور، ومنهم الملكان الموكلان بكتابة الأعمال كما قال عز وجل: « مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ »(٢).

ومنهم الحفظة، كما قال جل جلاله: «وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً»(٣)، وقال تعالى: « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ »(٤).

ومنهم منكر ونكير الموكلان بسؤال القبر، والمسند إليهما ما يكون فيه من المسائل. ومنهم مالك خازن النار: « وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ »(٥). ومنهم خزنة النار، كما قال تعالى: « وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ..»(٦). ومنهم خزنة الجنة، قال تعالى في شأنهم: « وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ »(٧). ومنهم ملك الموت: « ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »(٨). وغير ذلك ممن ذكر الله منهم في كتابه، أو رسوله ﷺ في سنته.

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٨).
(٢) سورة ق الآية (١٨).
(٣) سورة الأنعام الاية (٦١).
(٤) سورة الإنفطار الآيات (١٠ :١٢).
(٥) سورة الزخرف الآية (٧٧).
(٦) سورة الزمر الآية (٧١).
(٧) سورة الزمر الآية (٧٣).
(٨) سورة السجدة الآية (١١).

الخلاصة :

الملائكة خلق كريم ، خلقهم الله لطاعته والقيام على أمره ، والإيمان بهم واجب ، ونؤمن بهم إجمالا وبمن ورد به النص تفصيلا .

المناقشة :

س ١ : من هم الملائكة؟ وما وظيفتهم؟

س ٢ : ما حكم الإيمان بهم؟

س ٣ : اذكر بعضا ممن ورد بهم النص تفصيلاً من الملائكة .

(الإيمان بالكتب)

وبالكتب : اعتقاد أنها كلام الله ، وأن كل ما تضمنته حق ، وأن الله تعالى أنزلها على بعض رسله .

اللغة : (تضمنته) احتوته واشتملت عليه . (رسله) جمع رسول ، وهو من أرسل مبلغًا بوحي الله تعالى .

الشرح : هذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على بعض رسله ويشتمل على الإيمان بأنها وحي من الله تعالى ، وأن كل مافيها حق ، إلا ما دخلته يد التحريف من الكتب السابقة على القرآن ، كما قال تعالى في حق بني إسرائيل مع كتبهم : « يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ »(١) .

فهذه الكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله وجب علينا الإيمان بها كلها ، خصوصا ما ذكره الله تعالى على وجه التفصيل ومنها : التوراة التي أنزلها الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام ، كما قال تعالى: «إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ »(٢) .

ومنها : الإنجيل الذي أنزل على عيسى ، كما قال تعالى : «وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ »(٣) .

ومنها : الزبور الذي أنزل على داود ، قال تعالى : « وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا »(٤) .

ومنها : القرآن وهو آخرها وأفضلها كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ »(٥) .

(١) سورة المائدة الآية (٤١) .
(٢) سورة المائدة الآية (٤٤) .
(٣) سورة الحديد الآية (٢٧) .
(٤) سورة النساء الآية (١٦٣) .
(٥) سورة المائدة الآية (٤٨) .

وقال تعالى : «وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ»(١) . ويجب اعتقاد أنه كلام الله كما قال عز وجل : « وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ»(٢) .

وهو حق لا يأتيه الباطل ، كما قال تعالى : « وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ »(٣) . ويجب اعتقاد أنه اشتمل على بيان كل خير كما قال تعالى : « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ »(٤) . كما يجب اعتقاد وجوب العمل به ، وتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه .

الخلاصة :

الإيمان بالكتب واجب ، وقد أنزلها الله تعالى على بعض رسله ، ونؤمن بها إجمالا وبما ورد به النص منها تفصيلا .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالكتب؟

س ٢ : على من نزلت الكتب؟

س ٣ : اذكر بعضًا من الكتب التي ورد به النص تفصيلا؟

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤).

(٢) سورة التوبة الآية (٦).

(٣) سورة فصلت الآيتان (٤١ : ٤٢).

(٤) سورة النحل الآية (٨٩).

(الإيمان بالرسل)

وبالرسل : اعتقاد أن الله أرسلهم إلى الخلق ، ونزههم عن كل وخيمة ونقص ، فهم معصومون من الصغائر والكبائر ، قبل النبوة وبعدها .

اللغة : (نزههم) شرفهم وكرمهم وأعلاهم (وخيمة) صفة ردية . (معصومون) أي معافون ولا يجوز أن تصدر منهم (كبائر) جمع كبيرة ، وهي كل ما ورد في شأنه وعيد شديد في الكتاب والسنة .

الشرح : الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، ويتضمن الإيمان بأن الله تعالى اختار رسلاً من الناس كما قال تعالى : « ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ »(١) .

منهم من علمنا حيث قصهم الله علينا فى كتابه ، ومنهم من لم نعلم ، حيث قال الله عز وجل : وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ »(٢) .

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم وأفضلهم محمد ﷺ ، وقد أرسلهم الله تعالى إلى الناس ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى ويبشرون من أطاعهم بالجنة ، وينذروا من عصاهم بالنار ، قال تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلايكون للناس على الله حجة بعد الرسل» . وقد نزههم الله تعالى عن العيوب والنقائص التي تقدح في أهليتهم للرسالة والبلاغ عن الله تعالى ، كالكذب والخيانة ، وغيرها ، ونزههم عن الآفات المنفرة التي تنفر الناس منهم ، ومسألة عصمتهم من الذنوب فيها تفصيل عند أهل العلم ، أما ما رجحه كثير من المحققين منهم ، هو أن الأنبياء معصومون من الشرك ، ومن الكبائر ، وأما الصغائر فقد يتصور وقوعها منهم من غير تعمد ولا عزم عليها ولا سبق إصرار ، والعلم عند الله تعالى .

---

(١) سورة الحج الآية (٧٥) .

(٢) سورة النساء الآية (١٦٤) .

الخلاصة :

الإيمان بالرسل واجب ، على وجه الإجمال ، وبمن ورد به النص تفصيلاً ، وهم مبلغون عن الله رسالاته معصومون من الشرك والكبائر ، وفي عصمتهم من الصغائر خلاف .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالرسل؟

س ٢ : اذكر بعضا ممن ورد بهم النص تفصيلاً من الرسل .

س ٣ : تكلم عن مسألة عصمة الأنبياء من الذنوب .

الإيمان باليوم الآخر

وباليوم الآخر : اعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين ، ونعيم القبر أو عذابه ، والبعث والجزاء ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والجنة ، والنار .

اللغة : (اليوم الآخر) يوم القيامة . (البعث) الإحياء بعد الموت . (الصراط) الطريق والمراد به جسر جهنم .

الشرح : إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، وهو في الحقيقة أهم الأركان بعد الإيمان بالله تعالى ، ولهذا فكثيرا ما يقرن الله تعالى بين هذين الركنين في كتابه ، كما في مثل قوله تعالى : «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ»(١)، وكذلك النبي ﷺ حيث كان كثيرا ما يقول «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا أو فليقل كذا» . .

وهذا الركن مهم جدا لأنه يضبط سلوك الإنسان ويجعله مستقيما على منهج الله رجاء الأجر والثواب ، وخوفا من الوزر والعقاب .

فيجب على الإنسان أن يعتقد بوجود اليوم الآخر وبأنه حق لا ريب فيه .

ويدخل فيه الإيمان بما يتقدمه من سؤال الملكين في القبر ، وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة منها قوله ﷺ : «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمدﷺ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار . قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا . (قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره) ، وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : لا أدري . . كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين»(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

(٢) البخاري (٣/ ٢٧٥) ح ١٣٧٤ في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر ، مسلم (٤/ ٢٢٠٠) ج ٢٨٧٠ في الجنة وصفة نعيمها باب عر مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، كلاهما من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً .

فهذا الحديث وغيره نص في إثبات سؤال القبر ، ونعيمه وعذابه ، والأحاديث في شأن القبر متواترة كما ذكر بعض العلماء .

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بالبعث وبأن الله يحيي الناس بعد موتهم فيحاسبهم كما قال تعالى : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا »(١) . وقوله تعالى : « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ »(٢) .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجزاء ، كما قال تعالى :«الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»(٣) ، فالحسنة بعشر أمثالها أو يزيد ، والسيئة بمثلها أو يعفو ، كما قال تعالى : «مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ »(٤) .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان كما قال تعالى : «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا »(٥).وهو ميزان عظيم له كفتان ، توزن به الحسنات والسيئات فمن رجحت كفة حسناته فهو من أهل السعادة ، ومن رجحت كفة سيئاته فهو من أهل الشقاوة .

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار ، فالجنة دار المتقين الصالحين ، كما قال تعالى : « وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ »(٦) . وقال تعالى : «ومن

(١) سورة المجادلة الآية (٦) .

(٢) سورة التغابن الآية (٧) .

(٣) سورة غافر الآية (١٧) .

(٤) سورة النمل الآيتان (٨٩ :٩٠) .

(٥) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .

(٦) سورة النحل الآيتان (٣٠ :٣١) .

يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ (١) .

والنار هي دار العصاة الفجرة ، والكفرة ، كما قال تعالى : « وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ »(٢) . وقال تعالى أيضا : «إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ »(٣) .

فالجنة والنار هما الداران اللتان لابد للمرء من سكني إحداهما يوم القيامة ، وهما موجودتان مخلوقتان الآن ، ولا تفنيان بل الإنسان إما في نعيم سرمدي لا ينقطع ، وإما في عذاب أبدي لا ينتهي .

الخلاصة :

الإيمان باليوم الآخر واجب ، ويدخل فيه الإيمان بأحوال القبر ، وشدائد القيامة ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، وغير ذلك .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان باليوم الآخر؟

س ٢ : ما أثر الإيمان به على سلوك المسلم؟

س ٣ : اذكر بعضا من مسائل الإيمان باليوم الآخر التي تعرفها .

---

(٢) سورة النساء الآية (١٣).

(٣) سورة النساء الآية (١٤).

(٤) سورة الكهف الآية (١٠٢).

(الإيمان بالقدر)

وبالقدر : اعتقاد أن ما قدره الله في الأزل لابد من وقوعه ، وما لم يقدره يستحيل وقوعه ، وأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره .

اللغة : (القدر) قدر الشيء حده ومكانه وزمانه ، والمراد هنا المقادير التي يقضيها الله على عباده . (الأزل) القدم . (لابد) لا مفر . (يستحيل) يمتنع ولا يمكن .

الشرح : الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان ، وهو من أهمها كذلك ، والإيمان به لا يتحقق إلا بتحقق أربع مراتب له وهي :

أولا : العلم ، ومعناه أن الله تعالى علم كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه ، على وجه التفصيل ، ولم يخف عليه من خلقه خافية ، كما قال تعالى : «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ»(١) ، وقال تعالى : «وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ»(٢) ، فيجب على العبد الإيمان بالعلم الأزلي السابق لكل شيء ، صغير أو كبير .

ثانيا : الكتابة ، ومعناها الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء قبل أن يخلق الخلق ، قال تعالى : « مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ »(٣) ، وقال ﷺ : «إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : يا رب وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، من مات على غير هذا فليس مني»(٤) .

(١) سورة آل عمران الآية (٥) .

(٢) سورة يونس الآية (٦١) .

(٣) سورة الحديد الآية (٢٢) .

(٤) أخرجه أبو داود (٥/ ٧٦) ح ٤٧٠٠ في السنة باب القدر من حديث عبادة مرفوعا ، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) [١/ ٤٠٥] ح ٢٠١٨ .

فلا يصح الإيمان بالقدر حتى يؤمن المرء بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه .

ثالثا : الإرادة ومعناها الإيمان بأن الله تعالى أراد خلق كل شيء ، فكل شيء سوى الله وأسمائه وصفاته وأفعاله مخلوق ، والخير والشر مخلوقان لله تعالى ، وإذا لم يرد الله أمرا فلن يقع ، فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومشيئة الله نافذة ، قال عز وجل : « **إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** »(١) . وقال عز وجل : « **وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** »(٢). فكل شيء موجود في هذا الكون، إنما وجد بمشيئة الله ، وكل شيء معدوم فلأن الله لم يرد وقوعه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وذلك خلافا لمن أنكر بعض ذلك من القدرية وغيرهم .

رابعا : الخلق : ومعناه الإيمان بأن الله تعالى خلق كل شيء ، فما من شيء كائن إلا والله هو الذي خلقه ، حتى أعمال العباد من خير وشر ، الله تعالى هو الذين خلقها ، كما قال عز وجل «**وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**»(٣) . وقال تعالى : «**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ**»(٤) .

فهذه أربع مراتب ، إذا عدمت إحداها ، عدم الإيمان بالقدر ، وإذا عدم الإيمان بالقدر ، عدم الإيمان بالله تعالى ، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بها كلها .

---

(١) سورة الحج الآية (١٨) .

(٢) سورة التكوير الآية (٢٩) .

(٣) سورة الصافات الآية (٩٦) .

(٤) سورة الزمر الآية (٦٢) .

الخلاصة :

الإيمان بالقدر واجب ، وله مراتب أربع . وهي : العلم ، الكتابة ، الإرادة ، الخلق ، ولا يصح الإيمان عند فقد واحدة من هذه الأربع .

المناقشة :

س ١ : ما حكم الإيمان بالقدر؟

س ٢ : تكلم عن مراتب الإيمان بالقدر بالتفصيل .

س ٣ : ما حكم من زعم أن الله لم يخلق الشر؟

(تجديد الإيمان)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم. قيل: وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله».

اللغة: (جددوا) اجعلوه جديدا غضًا بتعاهدكم إياه وتفقدكم له حتى لا يخلق.

الشرح: ذكر المصنف حديث أبي هريرية رضي الله عنه مرفوعاً: جددوا إيمانكم..»[1].

وهذا الحديث يستفاد منه أن قول لا إله إلا الله تجديد للإيمان، وهو تجديد للإيمان لأن الإنسان قد تنتابه لحظات غفلة، أو قد يتقادم عليه العهد، ويطول عليه الأمد فيقسو قلبه ولا يعود إيمانه بذلك القدر الذي ينبغي، فيجب عليه أن يجدده بالإكثار من قول لا إله إلا الله مع استحضار معناها وتدبره، فحينئذ يتجدد إيمانه ونشاطه لعبادة الله تماما، كما أن الكافر عند أول إسلامه وتلفظه بالشهادة واستحضاره معناها يكون إيمانه جديدا غضًا طريًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) والحاكم (٤/ ٢٥٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعقب الذهبي بقوله وصدقه ضعفوه، والبراز (١/ ٣١٩) كشف الأستار، وأبو نعيم في (الحلية) (٢/ ٣٥٧) من رواية سمير أو شتير بن نهار عن أبي هريرة مرفوعا قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١/ ٥٢) رواه أحمد وإسناده جيد وقال في (٢/ ٢١١): ومداره على صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره وقال مسلم بن ابراهيم حدثنا صدقة الدقيقي وكان صدوقا» اهـ وقال في (١٠/ ٨٢) رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات، وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٣٢) رقم ١٠٦٨، رواه أحمد والحاكم والنسائي والطبراني بسند حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الخلاصة :

من تجديد الإيمان أن يكثر الإنسان من قول : لا إله إلا الله .

المناقشة :

س ١ : كيف تجدد إيمانك؟

س ٢ : اذكر واحدة من فضائل لا إله إلا الله .

(تحريم النار على الموحدين)

وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله».

اللغة: (يبتغي) يطلب ويلتمس.

الشرح: أورد المصنف رحمه الله حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً: «إن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»(١).

ويستفاد منه أن من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه، يريد بها وجه الله سبحانه وتعالى فإن النار محرمة عليه، هذا مع القيام بحقها من صرف العبادة لله تعالى، وإخلاص الدين له سبحانه، وطاعته فيما يأمر، واجتناب معصيته، وعدم الإتيان بما يناقضها.

وتحريمه على النار إما أن يكون تحريما ابتداء فلا يدخلها أصلا، وإما لو دخلها بسبب ذنوبه فإنه لا يخلد فيها.

والظاهر من ا لحديث المعنى الأول، ولكن يحمل على ما لو كان قد فقه معناها، وعمل بمقتضاها ولم يأت بما يناقضها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٧٣) ح ١١٨٦ في التهجد باب صلاة النوافل جماعة، ومسلم (١/ ٤٥٥) ح ٦٥٨ في المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، كلاهما من حديث محمود بن الربيع عن عتبان مرفوعا.

الخلاصة :

حرم الله تعالى النار على كل من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه .

المناقشة :

س ١ : اذكر بعضا من فضائل لا إله إلا الله .

س ٢ : ما معنى تحريم النار على من قال لا إله إلا الله؟

(أفضل الذكر وأفضل الدعاء)

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله» .

اللغة : (الذكر) مصدر ذكر والمقصود هنا أفضل ما يذكر به المرء ربه . (الدعاء) مصدر دعا أي توجه بطلب الخير .

الشرح : أورد المصنف رحمه الله حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : «أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وافضل الدعاء الحمد لله»[(١)] .

وهذا الحديث فيه فضيلة كبرى لقول لا إله إلا الله ، فهي كلمة التوحيد ، وكلمة الإخلاص وكلمة التقوى ، وهي أصل الإسلام ، ولا يصبح الكافر مسلمًا إلا بقولها والتلفظ بها وهي كذلك الكلمة التي قاتل النبي ﷺ أصناف المشركين حتى ينطقوا بها ، ويعملوا بمقتضاها ، فهي أعظم كلمة يقولها إنسان ، وهي أحب الكلام إلي الله لأنه فيها إقرارا له باستحقاق العبودية ، وفيها كفر بكل ما يعبد من دونه ، وخلع للأنداد والآلهة الباطلة .

وفي الحديث أيضا فضيلة للحامدين ، وفضيلة لقول الحمد لله ، فهي اعتراف لله تعالى بأنه صاحب النعم ومواليها ، وتوجه له سبحانه بالشكر وحده ، وطلب لمرضاته سبحانه بالإقرار له بذلك .

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٨) ح ١٠٦٦٧ في عمل اليوم والليلة باب ١٩٩ أفضل الذكر وأفضل الدعاء والترمذي (٥/ ٤٦٢) ح ٣٣٨٣ في الدعاء باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وقال حسن غريب ، وإبن ماجة (٢/ ١٢٤٩) ح ٣٨٠٠ باب فضل الحامدين ، وابن حبان (٢/ ١٠٤) ح ٨٤٣ (إحسان) والحاكم (١/ ٤٩٨ ، ٥٠٣) وصححه ووافقه الذهبي ، كلهم من طريق طلحة بن خراش عن جابر مرفوعا . وحسنه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) (١/ ٢٤٨) رقم ١١٠٤ .

الخلاصة :

كلمة لا إله إلا الله هي أفضل الذكر ، وكلمة الحمد لله أفضل الدعاء .

المناقشة :

س ١ : ما هو أفضل ذكر يذكر به الإنسان ربه؟

س ٢ : أذكر أفضل دعاء .

(من فضائل لا إله إلا الله)

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال موسى: يا رب علمني شيئا اذكرك به وادعوك به؟ قال: قل: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقول هذا، إنما أريد شيئا تخصني به. قال يا موسى لو أن السموات السبع والارضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله»، وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

اللغة: (تخصني به) تجعله لي خالصًا دون غيري وتفضلني عليه.

الشرح: مازال المؤلف يبين فضل لا إله إلا الله، فأورد حديث موسى عليه السلام: «يا رب علمني شيئا ..»[(١)]. وفي هذا الحديث بيان لفضل هذه الكلمة وأنها ترجح بالسموات والأرض لو وزنت بهن، وأن كل صالحي الخلق من النبيين والصديقين والصالحين والملائكة وغيرهم، كلهم يتقربون إلى الله تعالى، بهذه الكلمة العظيمة، وأنها أفضل ما يتلفظ به العبد، وخير ما يلهج به الذاكرون.

وساق كذلك في البا ب حديث معاذ رضي الله عنه مرفوعاً: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[(٢)]، فهذا الحديث كذلك مما يبين فضل لا إله إلا الله، ومنزلتها، وأن من ختم له بها، وكانت آخر كلامه من الدنيا، دخل الجنة، وقد يكون المقصود دخولها ابتداء، أو دخولها بعد المعاقبة بذنوبه والأظهر الأول، وأن من أراد الله به الخير، وتجاوز عن ذنوبه، وكتب له الجنة ابتداء، جعل من فضله هذه الكلمة هي آخر ما يتلفظ به من هذه الدنيا.

(١) أخرجه ابن حيان (٨/ ٣٥) ح ٦١٨٥ (إحسان) والحاكم (١/ ٥٢٨) وصححه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في (الحلية) (٨/ ٣٢٨) والبيهقي في (الأسماء والصفات) (ص١٢٨) وأبو يعلى في مسنده (٢/ ١٣٥) ح ١٣٨٩، والحكيم الترمذي في (النوادر) (ص ٣٣٧) كلهم من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد مرفوعا، قال الهيثمي في (المجمع ١٠/ ٨٢): رجاله وثقوا، وفيهم ضعف.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) وأبو داود (٣/ ٤٨٦) ح ٣١١٦ في الجنائز في التلقين، والحاكم (١/ ٣٥١) وصححه ووافقه الذهبي، لهم من حديث كثيرمرة عن معاذ مرفوعا، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٥) برقم ٦٤٧٩.

فصل في الردة

هي أفحش أنواع الكفر ، قال الله تعالى : «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا» . وقال تعالى : «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار» . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه» .

اللغة : (الردة) الرجوع إلى الكفر بعد الإسلام . (أفحش) أخطر وأفظع . (ما دون ذلك) ماهو أقل من ذلك . (ضلالا) الضلال هو البعد عن الحق والانحراف عنه (أنصار) . جمع نصير وهو المعين . (بدل) غيّر .

الشرح : إنما كانت الردة أفحش أنواع الكفر لأنها رجوع إلى الكفر بعد معرفة الحق ، وضلالا بعد هدى وغي بعد رشاد ، فلذلك كانت أفحش من الكفر الذي لم يتقدمه معرفة الحق .

ثم أورد المصنف بعضا من النصوص في شأن الردة موضحة لخطر شأنها وفحشها ، منها قوله تعالى : «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا»(١) .

وتوضح الآية أن الشرك بالله تعالى : ومنه الردة - لا يغفره الله عز وجل لفاعله أبدا ، وأنه ضلال ليس بعده ضلال ، لأنه إضاعة لخالص حق الله تعالى ، وصرف له إلى غيره ، وأما ما سواه من المعاصي وإن كبرت ، فإن أمرها قريب ، والله تعالى يغفرها لمن أراد به الخير من عباده .

وأتى كذلك بقوله تعالى : « إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ »(٢) ، وتوضح الآية كذلك غلظ تحريم الشرك ، وأن فاعله لا يدخل الجنة ولا يشم ريحها ، فهي محرمة عليه أبد الآبدين ، بل إن

---

(١) سورة النساء الآية (١١٦) .

(٢) سورة المائدة الآية (٧٢) .

جهنم هي مقره ومثواه ، وذلك لأنه ظالم أشد الظلم بصرفه خالص حق الله إلى غيره ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

ثم أتى المصنف بما يبين حكم الله تعالى في المرتد ، وما ينبغي أن يعاقب به ، وهو القتل ، إذا استتيب فلم يتب ، ولم يرجع إلى دين الإسلام ، وذلك في قوله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه»[٢] .

ومقصود الحديث ليس عموم تبديل الدين ، إنما المراد منه التحول عن دين الإسلام إلى غيره بعد إسلامه .

الخلاصة :

الردة هي أفحش أنواع الكفر على الإطلاق ، وقد وردت النصوص الكثيرة في بيان شناعتها .

المناقشة :

س ١ : عرف الردة .

س ٢ : لماذا كانت الردة أفحش أنواع الكفر؟

---

(١) سورقة لقمان الآية (١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ١٧٣) ح ٣٠١٧ في الجهاد باب لايعذب بعذاب الله و (١٢/ ٢٧٩) ح ٦٩٢٢ في استتابة المرتدين باب حكم المرتد من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعا .

(من أنواع الردة)

واعلم أن من أنواعها : أن يعزم مكلف مختار على الكفر في زمن قريب أو بعيد فيكفر حالا ، وأن يعتقد قدَم العالم ، أو الروح ، أو حدوث الصانع ، أو ينفي ما هو ثابت لله تعالى بالإجماَع كالعلم والقدرة ، أو يعتقد وجوب غير واجب كصلاة سادسة ، أو صوم غير رمضان ، وكأن يسجد لمخلوق كصنم أو شمس أو يلقي ورقة فيها شيء من القرآن ، أو العلم الشرعي ، أو اسم الله تعالى ، أو اسم نبي ، في مستقذر أو ينكر نبوة نبي أجمع عليها ، أو إنزال كتاب ، كذلك كالتوراة والإنجيل ، أو ينكر وجوب واجب ، أو تحريم حرام علم من الدين ضرورة ، أو ينكر إعجاز القرآن ، أو البعث ، أو الجنة ، أو النار ، وكأن يفضل الولي على النبي ، أو يجوز بعثه نبي بعد نبينا ﷺ . وكأن يقول إنه رأى الله عيانًا في الدنيا ، أو أن الله يحل في صورة حسنة ، أو أسقط عنه الحلال والحرام ، أو استخف بالأذان ، او قال شبعت من القرآن ، أو الصلاة ، أو لا أخاف القيامة أو قال أي شيء هذا الشرع؟ أو قال : مطرنا بنجم كذا ، مريدا أن للنجم تأثيرا فيه ، أعاذنا الله من الكفر ، وحمانا مما يجر إليه .

اللغة : (يعزم) يصمم وينوي . (مكلف) يجري عليه القلم وهو المسلم البالغ العاقل . (حالاً) للتو . (قدم) أبدية . (مستقذر) ما تستقذره النفوس كالحشوش - أي الخلاء - وغيرها . (ينكر) يجحد ويكذب . (إعجاز) مصدر أعجز أي أعيا الناس أن يأتوا بمثله . (الولي) هو كل مؤمن تقي صالح . (عيانا) أي معاينة بعيني رأسه (يحل) يتجسد . (يجر) يؤدي إليه ويوقع فيه .

الشرح : الدخول فيه وبعد انشراح الصدر للإسلام .

* ثم شرع المصنف رحمه الله في بيان بعض من أشكال الارتداد عن الإسلام ، ونواقضه ، فذكر منها عزم المكلف على الكفر فيكفر حالا ، وذلك لأنه نوى وصمم ووطن نفسه على أن يكفر بالله تعالى ، فهذا يكفر للحال لأنه كما قال

تعالى : «وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ»(١) . فهذا يكفر بمجرد العزم على الكفر ويصبح مرتداً خارج عن الإسلام ، وهو مؤاخذ بمجرد العزم والإرادة ، هنا لأنه وطن النفس على الفعل .

* ومن أنواع الردة أن يعتقد الإنسان قدم العالم ، فيظن أن هذا الكون قديم لا أول له ، إذ إن هذا معناه أنه ليس بمخلوق ، والله تعالى يقول : «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ»(٢) ، وكل مخلوق محدث .

* وكذلك من اعتقد قدم الروح ، والقول فيها كالقول في المسألة التي قبلها .

* ومنها من اعتقد حدوث الصانع سبحانه وتعالى ، فإن هذا مناقض لقوله تعالى : «هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ»(٣) . فالله تعالى أول بلا ابتداء ، فلو قيل بالحدوث لكان حادثاً وكائناً بعد أن لم يكن ، وهذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ، وأعظم مظاهر الكفر .

*ومن أعظم أنواع الردة أن ينفي الإنسان عن الله تعالى ما ثبت في حقه بالإجماع من صفات الكمال ، كالعلم والقدرة ، قال تعالى : «عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ »(٤) . وقال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ »(٥) وقال عز وجل : «إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾»(٦) . وقال : « وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا»(٧) .

(١) سورة النحل الآية (١٠٦) .

(٢) سورة الزمر الآية (٦٢) .

(٣) سورة الحديد الآية (٣) .

(٤) سورة سبأ الآية (٣) .

(٥) سورة آل عمران الآية (٥) .

(٦) سورة البقرة الآية (٢٠) .

(٧) سورة فاطر الآية (٤٤) .

فالنافي لهذه الصفات متهم لله تعالى بالعيب والتقصير نافٍ لما يجب له من الكمال .

ومن أنواع الردة عن الإسلام التي ذكرها المؤلف رحمه الله ، أن يعتقد الإنسان أن الله قد أوجب شيئا ليس بواجب في الدين ، كوجود صلاة سادسة مع الصلوات الخامسة ، أو أن يعتقد وجوب صيام غير صيام رمضان ، فهذا يكفر لأنه شرع من عنده بغير تشريع الله تعالى ، وقد قال الله تعالى : «وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ»(١) . وقال عز وجل : «أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ »(٢) .

* ومن مظاهر هذه الردة كذلك أن يسجد المرء لغير الله تعالى ، فالسجود عبادة لا تنبغي إلا لله عز وجل ، وصرفها لغيره سبحانه إشراك في عبادته ، قال تعالى : « يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ »(٣). فالسجود لغير الله تعالى عبادة ، أو تعظيماً ، إشراك به عز وجل وارتداد عن الإسلام .

* ومن مظاهر الردة عن الإسلام هذه أن يلقي المرء ورقة فيها اسم الله أو كلامه ، أو اسم نبي أو علم شرعي أن يلقيها في مستقذر كبيت الخلاء مثلا ، وذلك إذا كان محتقرا لها ، أو إذا كان مستهزئا لأن الواجب على المسلم تعظيم الله تعالى وكلامه ، وتعظيم العلم الموصل إليه ، والرسل الداعين له ، فإذا أتى بما ينافي هذا التعظيم من تحقير واستهزاء فهو مرتد عن الإسلام ، وقد قال الله تعالى في كتابه : « قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ »(٤) ، وينبغي كذلك أن يكون متعمدا فإنه لو سقطت منه الورقة بغير

---

(١) سورة النحل الآية (١١٦) .

(٢) سورة الشورى الآية (٢١) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٤٣) .

(٤) سورة التوبة الآيتان (٦٥ :٦٦) .

تعمد لم يكفر بذلك، وقد قال تعالى: «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»[(١)]. وقال أيضا: «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ»[(٢)].

وكذلك من أنواع الردة التي ساقها المؤلف، إنكار نبوة نبي من الأنبياء ممن ورد النص أو الإجماع بإثبات نبوته، كإبراهيم عليه السلام، أو موسى أو عيسى أو غيرهم صلوات الله عليهم جميعا، فإن هذا تكذيب لخبر الله تعالى وخبر رسوله ﷺ.

* ومنها إنكار إنزال كتاب معين من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجليل، فإن هذا إنكار لكتاب الله تعالى وتكذيب لخبره، حيث قال سبحانه وتعالى: «وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ»[(٣)].

* ومن أنواع الردة إنكار وجوب واجب كالصلاة أو الزكاة، فهو تكذيب للنص والإجماع، قال تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»[(٤)]، وهكذا كل ما ثبت وجوبه نصًا أو إجماعًا.

* ومنها كذلك إنكار تحريم ما علم من الدين ضرورة تحريمه، كالزنا والخمر والسرقة والربا وغيرها مما وردت النصوص بتحريمه، وأجمعت الأمة على القول بحرمته، بل كل الشرائع والأمم اتفقت على تحريمه وفحشه.

* ومنها إنكار إعجاز القرآن، فإنه تكذيب لخبر الله حيث قال: «قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).
(٢) سورة الأحزاب الآية (٥).
(٣) سورة آل عمران الآيتان (٣-٤).
(٤) سورة المزمل الآية (٢٠).
(٥) سورة الإسراء الآية (٨٨).

* ومنها إنكار البعث ، قال تعالى : «زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ »[1] .

* ومنها إنكار وجود الجنة أو النار ، قال تعالى : «إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا[2] . وقال : «إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا ﴿١٠٢﴾ »[3] .

* ومنها كذلك تفضيل الولي على النبي ، فإن الواجب اعتقاد تفضيل نبي واحد على جميع الأولياء وقد قال تعالى : «ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ»[4] . وقال أيضا : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ »[5] .

* ومنها جوّز بعثة نبي بعد نبينا محمد ﷺ ، فإن هذا مناقض لقوله تعالى : «مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ»[6] .

فمن زعم النبوة لنفسه أو لغيره بعد رسول الله ﷺ فهو كافر بالله العظيم .

ومن أنواع الردة كذلك من قال إنه قد رأى ربه بعينيه في هذه الدنيا ، فإن الله عز وجل قال : «لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ »[7]، ولما سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية قال له : «لَن تَرَىٰنِي»[8] . فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة بأعينهم ، أما في الدنيا فلا يراه أحد .

* ومنها من زعم أن الله يتمثل في صورة حسنة ، لأن الله تعالى قال : «لَيۡسَ

---

(١) سورة التغابن الآية (٧) .

(٢) سورة الكهف الآية (١٠٧) .

(٣) سورة الكهف الآية (١٠٢) .

(٤) سورة الحج الآية (٧٥) .

(٥) سورة آل عمران الآية (٣٣) .

(٦) سورة الاحزاب الآية (٤٠) .

(٧) سورة الأنعام ، الآية (١٠٣) .

(٨) سورة الأعراف الآية (١٤٣) .

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»(١) . ومن ادعى التشابه بين الخالق والمخلوقين في شيء فقد كفر .

* ومنها من زعم أن الله تعالى أسقط عنه تكاليف الحلال والحرام ، فإن هذا إنكار لدلالة الكتاب والسنة ، ومخالفة للإجماع ، وافتراء على الله تعالى .

* ومنها الاستخفاف بالأذان لأنه استهزاء بشعائر الله ، قال تعالى : « قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ »(٢) .

* ومنها أن يقول الإنسان شبعت من القرآن ، أو من الصالة ، إذ معنى هذا أنه لا يريد القرآن ولا الصلاة ، ولا يريد الدين أيضا .

* ومنها من قال لا أخاف القيامة ، فإنه إن قصد أنه لا يخاف منها أصلا تهوينا لشأنها كفر ، لأن الله تعالى أمرنا بأن نخاف من يوم القيامة وأننحذره ووصف المؤمنين بأنهم : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ »(٣) . وإن قصد أنه آمن من يوم القيامة فإن الله تعالى قال في كتابه : « أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ »(٤) .

* ومنها من قال : أي شيء هذا الشرع؟ إذا كانت على وجه الانتقاص أو الاستهزاء أو التحقير أو الاستهانة ، فكلها كفر لأنها قدح في كمال الله تعالى في شرعه .

* ومنها من قال : «مطرنا بنجم كذا» . مريداً أن للنجم تأثيرا فيه ، فإن هذا مدع للمخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»(٥) .

---

(١) سورة الشورى الآية (١١) .

(٢) سورة التوبة الآيتان (٦٥ :٦٦) .

(٣) سورة النور الآية (٣٧) .

(٤) . سورة الأعراف الآية (٩٩) .

(٥) أخرجه البخاري (٢/ ٣٨٨) ح ٨٤٦ في الأذان يستقبل الإمام الناس إذا سلم ومسلم (١/ ٨٣ :٨٤) ح ٧١ في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنور ، كلاهما من حديث عبدالله بن عبدالله عن زيد خالد مرفوعاً .

فكل هذه الصور المذكورة مما يكفر به المرء ويخرج به من الإسلام والعياذ بالله تعالى . غير أنه لابد من التنبيه إلى أن هناك موانع تمنع التكفير كمن فعل شيئا مكرها ، أو جاهلا أو غير ذلك ، وهي مسألة فيها تفصيل .

الخلاصة :

للردة أنواع ومظاهر كثيرة يجب على المسلم معرفتها والحذر منها ، حتى لا يقع فيها وحتى لا يحبط عمله .

المناقشة :

س ١ : هل يحبط عمل المرتد أم لا؟

س ٢ : اذكر بعضًا من مظاهر الردة المخرجة من الملة .

س ٣ : ما حكم من فعل شيئا مما ذكر جاهلاً أو مكرهًا؟

الثبات على العقيدة الصحيحة

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : «كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلامًا أعلمه السحر ، فبعث إليه غلامًا يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فق : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ، ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ .

وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال : ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله ، دعوت الله فشفاك . فآمن بالله ، فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من ردَّ عليك بصرك؟ قال : ربي قال : ولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه ، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام فجئ بالغلام ، فقال له الملك : أي نبي قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحدا ، إنما يشفي الله . فأخذه ، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب ، فجئ بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدعا بالمئشار ، فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جئ بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فوضع المئشار

في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جئ بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ فقال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قرقور ، فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك؟ قال : كفانيهم الله . فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو؟ قال : تجمع الناس في صعيد واحد ، وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس ، ثم قل باسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه في موضع الصدغ ، فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام . فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس . فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخدت واضرم النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام : يا أمه ! ! اصبري فإنك على الحق» .

اللغة : (ساحر) هو المشتغل بالسحر ويظهر الإتيان بالخوارق . (راهب) عابد (سلك) مشى (حبسني) أخَّرني (ستبتلى) ستختبر (الأكمه) من ولد أعمى (الأبرص) من به برص ، وهو مرض جلدي يصيب الجلد ببقع بيضاء . (تبريء)

تشفي . (المئشار) المنشار . (مفرق) موضع انفراق الشعر . (ذروته) أعلاه . (قرقور) سفينة صغيرة . (انكفأت) انقلبت . (كنانتي) حقيبة سهامي . (صعيد) أرض بارزة . (كبد القوس) مقبضها عند الرمي . (الصدغ) جانب الرأس ما بين الخد والأذن والعين والجبهة . (حذرك) ، ما كنت تخافه . (الأخدود) شق عظيم في الأرض (أفواه السكك) أبواب الطرق (احموه) ارموه (تقاعست) تباطأت وترددت .

الشرح : هذا الحديث الصحيح يحكي لنا فيه النبي ﷺ قصة ذلك الغلام الذي أريد له أن يكبر ساحرا ، ولكن تداركته رحمة الله تعالى ، فاختلف إلى ذلك الراهب الصالح وعرف منه الدين الصحيح فتمسك به ، ثم ازداد يقينه بما رآه من قدرة الله يوم أن رمى الدابة العظيمة فقتلها ، وما منَّ الله به عليه بعد ذلك من شفاء المرضى ومعالجتهم من كل الأمراض حتى انتشر خبره ، ولكن الملك الخبيث لم يعجبه ذلك ، ولم يرض بأن تظهر دعوة الحق في بني قومه ، فقتل الراهب الذي كان أصل الدعوة ، ثم ثنى بعد ذلك بقتل جليسه ـ جليس الملك ـ الذي كان أول من آمن بالغلام ، ثم حاول قتل الغلام بكل وسيلة ، لكن الله تعالى منعه وحماه ، فلم يقدر عليه ، غير أن الغلام أراد أن يضحي بنفسه في سبيل نشر دعوة الحق ، وحتى يؤمن الناس بالله ، وقد تحقق ذلك بالفعل ، غير أن الملك أراد منهم أن يرتدوا فأبوا ، فخدلهم الأخدود وأحرقهم بالنار حتى يرجعوا عن دينهم فأبوا عليه ، وتمسكوا بدين ا لحق ، وهكذا دعوة الحق إذا خالطت بشاشتها القلوب لم يردها شيء على أعقابها .

وقد أورد المصنف هذا الحديث في باب الردة لمناسبة ان الملك اراد من الناس ان يرتدوا عن دينهم فأبوا وثبتوا على دينهم الحق ، وهذا الحديث العظيم يستفاد منه فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ ـ أن الحق قد يخفى على عامة الناس ولا يعرفه إلا القليل .

٢ ـ أن الظالمين دائمًا يحاولون رد الناس عن الحق بمختلف الوسائل .

٣ ـ أن الداعية إلى الله لابد أن يثبت على الحق ولا يترخص .

٤ ـ أن الأخذ بالعزيمة في مثل هذه الحالات خير من الترخص بإظهار الرجوع عن الدين .

٥ ـ وجوب الثبات على العقيدة الصحيحة .

إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة .

تنبيهات على باب الردة

احدها : أن من ارتكب مكفرا يحبط جميع أعماله ، ويجب عليه قضاء الواجب منها ، وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول عن جماعة من الأئمة كأبي حنيفة ، وعند الشافعي أن ثواب العمل يحبط ، ولكن لا يحبط نفس العمل ، أي من حيث إنه لا يجب القضاء ، وأن النكاح ينفسخ حالا وإن كان قبل الدخول ، وبعد العدة إن كان بعده .

اللغة : (مكفرا) عملا يتسبب في كفره (يحبط) يبطل

الشرح : دل ظاهر الكتاب على أن المرتديحبط عمله كله ، فلا ينتفع منه بشيء ، كما قال تعالى : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ »(١)

ولكن قد اختلف أهل العلم ، فبعضهم قال إن العمل يحبط بمجرد الإرتداد حتى ولو تاب وأسلم وبعضهم قال إنه لا يحبط إلا إذا مات على الكفر ، واستدل بقوله تعالى : « وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ (٢)» ، وهذا هو الأظهر في نظري وأما مسألة قضاء الواجب من الأعمال ففيها خلاف ، هل يجب عليه القضاء أم لا؟ فأوجب بعضهم القضاء وبعضهم لم يوجبه تنزيلا له منزلة الكافر إدا أسلم فلا يجب عليه قضاء شيء من الأعمال الواجبة وأما النكاح فإنه ينفسخ ولا شك بالردة ، إذ لا يحل شرعاً نكاح المسلمة للكافر ، ولا الكافر للمسلمة ، وإذا قد ارتد أحد الزوجين فقد انفسخ عقد النكاح ، قال تعالى : « لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ »(٣)

---

(١) سورة الزمر الآية (٦٥) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧) .

(٣) سورة الممتحنة الآية (١٠)

الثاني : يجب على الإمام أو نائبه استتابته فوراً ، ويحرم إمهاله ، فإن تاب قبل منه ، وإلا فيقتله بضرب عنقه ولا يدفن في مقبرة المسلمين .

الثالث :أنه يشترط في صحة توبته النطق بالشهادتين ، ويزيد من كفر بإنكار معلوم من الدين بالضرورة اعترافه بما كفر بإنكاره ، وندب لكل مرتد الاستغفار .

اللغة : «استتابته» دعوته للتوبة «إمهاله» تأخيره «ضرب عنقه» قطع رأسه .

الشرح :إذا ارتد مسلم فيجب على ولي الأمر ونائبه أن يستدعيه ويستتيبه ، فيدعوه إلى التوبة إلى الله ، والرجوع عن الكفر إلى الإسلام ، ولا يؤجل في ذلك ، بل يستتاب على الفور بمجرد الحكم عليه بالردة ، فيستتاب ثلاثة أيام ، فإذا تاب قبل منه ، وأوكل أمره إلى الله تعالى ، وإن أحد ضربت عنقه بالسيف ، فيموت مرتداً كافراً ، وعلى هذا لا يدفن في مقابر المسلمين ، إذ أنه والحالة هذه ليس منهم .

وأيضا فإن المرتد لا بد لكي تصح توبته أن يتلفظ بالشهادتين ، لأنه بمثابة الكافر الذي يدخل في الإسلام لأول مرة ، فيلزمه النطق بالشهادتين .

وإذا كان قد كفر نتيجة إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة ، كإنكار وجوب الصلاة وتحريم الزنا والخمر لزمه مع التوبة أن يقر ويعترف بما أنكره وكفر بسببه ، كما أنه يندب لكل مرتد الإستغفار مما وقع فيه من عظيم الجرم بالردة عن الإسلام ، ولعل الله أن يغفر له ويقبله .

الخلاصة:

إذا ارتد مسلم حبط عمله ، وانفسخ نكاحه ، ويستتاب ثلاثا فإن تاب وإلا ضربت عنقه فمات كافراً ، ويجب عليه عند التوبة تجديد التلفظ بالشهادتين ، والإقرار بما جحده وأنكره .

المناقشة:

س ١ : اذكر ما تعرفه في مسألة حبوط العمل بالردة .

س٢ : هل ينفسخ نكاح المرتد أم لا؟

س٣ : ما الواجب على الإمام تجاه المرتد؟

س٤ : ما هو حد الردة في الإسلام؟

س٥ : هل يشترط التلفظ بالشهادتين لمن تاب من الردة؟

فهرس الموضوعات

الموضوع ... الصفحة